التأثير الحضاري

العربي الإسلامي في شرق أفريقيا

من القرن الخامس الهجري حتى السابع

424 – 656 هـ / 1129 – 1258 م

دراسة في الأحوال الجغرافية وعوامل انتشار الإسلام

والتأثيرات الدينية والثقافية والاجتماعية

تأليف الدكتور

محمد علي عمر الخويلدي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار الجديد للنشر والتوزيع

958.1

ا . م

، محمد علي عمر . الخويلدي

التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا من القرن الخامس الهجري حتى السابع / محمد علي عمر الخويلدي .- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

186 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 4 - 611 – 308 – 977 – 978

1. تاريخ أ - العنوان.

رقم الإيداع : 25808 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة - بجوار البنك الأهلي المركز

E- elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

mail:

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

2018

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

صدق الله العظيم

(سورة الحجرات - الآية 13)

الإهداء

إلى أبي وأمي وأخي في جوار الله

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى زوجتي وأبنائي رفاقي في السراء والضراء

إلى أساتذتي وزملائي وطلابي في الجامعات الليبية.

أهدي ثمرة جهدي

المؤلف

تقديم

التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا للحقبة من 424 - 656هـ/ 1129 - 1258 م.

تهدف هذه الدارسة إلى أثراء المكتبة العربية الإسلامية فهي بحاجة إليه لإطلاع الدارسين والباحثين على التأثيرات الاجتماعية والفكرية التي خلفها الإسلام في هذه المنطقة الحيوية من القارة الأفريقية.

ويصح القول، إن الدراسات في قضايا ومهمات انتشار الإسلام في أفريقيا عموما وفي مناطق الشرق منها بصورة خاصة لم يحظ باهتمام من لدن المؤرخين والكتّاب لأنها تحتاج إلى مزيد من الجهد والتتبع والتركيز فضلا عن قلة المصادر والمراجع وشحتها ولعل هذا الكتاب سيكون فاتحة لأولئك الذين يبذلون محاولاتهم لكشف كثير من الحقائق والأصول التاريخية عن حقبة مهمة في تاريخ الإسلام في أفريقية الشرقية منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ثم يعقبها وصول الإسلام وانتشاره في هذه المنطقة وبروز المظاهر الحضارية العربية الإسلامية فيها وتركز المجتمع الإسلامي وتبلور الجنس السواحيلي والتأثير الذي تركه الإسلام في العادات والتقاليد والتنشئة الاجتماعية وحيث لم يمض وقت طويل حتى نقرأ من التأثيرات الثقافية للحضارة العربية والإسلامية في اللغة

والنتاج الفكري والتعليم وإنشاء المراكز الدينية والعلمية والثقافية مثل المساجد والمدارس والربط والزوايا التي كان يختلف إليه الفقهاء والعلماء والمدرسون وطلبة العلم والفقه والعلوم الدينية، فكان أن تهذبت العادات

والتقاليد الأفريقية بالتأثيرات العربية الإسلامية، كما ظهرت الممالك القبلية والكيانات السياسية على الأسس الإسلامية، في الحبشة وممالك الطراز وغيرها تخضع لحكومات المدن في باتا ومقديشيو وزنجبار وسفالة وكلوة. وقيدتها النظم السياسية والإدارة العربية المستوحاة من الشريعة والتنظيمات الإسلامية. لكي يقدم دراسة أكاديمية موثقة عن القارة السمراء التي تنهض من جديد في هذا العصر بإرثها الثقافي الإسلامي. لقد أضفيت على هذه الدراسة الجديّة والموضوعية لجعلها باكورة تحث طلبتنا ودارسينا على انتهاج موضوعات في هذا الجانب لتوجيه القارئ مهما كانت عمومية معارفه إلى الأهمية التاريخية لقارة أفريقية في إطار الإسلام منذ أكثر من سبعمائة سنة وحتى هذه الأيام.

الدكتور

محمد علي الخويلدي

الفصل الأول
النطاق الجغرافي لأفريقيا الشرقية
424-656هـ / 1129-1258م

الفصل الأول

النطاق الجغرافي لأفريقيا الشرقية

تشمل منطقة شرقي أفريقيا مساحة تبلغ حوالي 1.8 مليون كيلو متر مربع وتمتد من خط عرض 4.5 درجة شمالاً حتى خط عرض 10درجات جنوباً ، كما تمتد بين خطي طول 30 و 40 درجة شرقاً(1).

وسميت المنطقة بشرقي أفريقيا، لأن الطابع الذي يميزها تستمده من موقعها الجغرافي في شرقي القارة ، فالأخدود الغربي يكاد يكون فاصلاً بين هضبة شرقي أفريقيا وبين منخفض زائير(2)، مما جعل علاقات السكان وتوجههم منذ القدم نحو الساحل المطل على المحيط الهندي ، الذي كانت تتدفق إليه التجارة الشرقية الخاضعة للسيطرة العربية. ولم يأت القرن الأول الميلادي حتى بدأ استقرار العرب بصورة جماعية على الساحل الشرقي الأفريقي،

(1) الجمل ، شوقي عطا الله، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ط1، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية)،1960 ، ص 10 .

(2) سعودي ، محمد عبد الغني، أفريقيا دراسة في شخصية القارة ، وشخصية الأقاليم ، ط1 (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية) ، 1983، ص 205 .

ونشطت حركة تجارية مزدهرة، واختلط في هذا الساحل العرب والفرس والهنود بالسكان الوطنيين، مما أدى إلى ظهور جنس هجين جديد أطلق عليه الشعب السواحيلي(1).

وتضم منطقة شرقي أفريقيا إريتريا والحبشة وبلاد الصومال، بأقسامه الثلاثة، وساحل كينيا وجزيرة زنجبار، وهي تؤلف عالماً إسلامياً مستقلاً له أوضاعه الخاصة ، ومقوماته الخاصة ، بل يكاد هذا العالم أن يكون منعزلاً عن بقية القارة.

ويعد شرقي أفريقيا وحدة جغرافية متكاملة، فضلاً عن تميزه بموارده الوفيرة. ويطلق على إقليم أفريقيا الشرقية اسم القرن الأفريقي، وإن كانت هذه التسمية لا تغطي كامل الإقليم، فدول ما يسمى في الوقت الحاضر بالقرن الأفريقي تضم الصومال وجيبوتي وإرتريا الحالية ويمكن أن نضيف إليها كينيا(2).

(1)Reginald, Coupland, East Afraica, Its Invaders from the Earliest Times to the Death Sayyid Saidin. 1856 (Oxford), 1938, p 38.

(2) سعيد، إبراهيم أحمدK أفريقيا جنوب الصحراء ، دراسة في الجغرافية الإقليمية ، ط1 (ليبيا ، منشورات جامعة السابع من أبريل) ، 1993 ، ص 101 .

1- الموقع والحدود :

السودان وادي النيل :

السودان قطر سهلي مظهره متجانس إلى حد كبير. وهو في الأصل سهل نحاتي تغطيه ترسبات سميكة من الطمي، وتحيط به المرتفعات من كل جانب. ولا شك أن أهم مظهر مورفولوجي في سهول السودان الفسيحة هو نهر النيل. وإلى الجنوب من السهل السوداني تقع هضبة زائدي (أو هضبة الصخر الحديدي) التي يتراوح ارتفاعها بين (500-1000متر) فوق مستوى البحر، والتي تحتل خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو. وتبرز في السهل السوداني ألسنة وكتل من المرتفعات الأثيوبية. ويسمى نهر النيل من الخرطوم شمالاً باسم النيل النوبي ، وهو في بدايته يجري في مجرى واسع قليل الانحدار بين سهول فسيحة تتركب من صخور رملية تسمى "الخراسان النوبي". ويعتبر النيل الأزرق أهم الروافد مباشرة للنيل في الأهمية من حيث تصريفه المائي. وعند الخرطوم يلتقي النيل الأزرق بالنيل الأبيض(1).

(1) جودة، جودة حسنين، جغرافية أفريقيا الإقليمية، ط4 (الإسكندرية ، منشأة المعارف)، 1985 ، ص 210 .

أما فيما يتعلق بسكان السودان فنلحظ أنه على الرغم من أن تعبير السودان يرتبط في الأذهان باللون الداكن الذي يلوّن ساكنيه، " فإن السكان الزنوج الوثنيين الذين يعيشون إلى الجنوب من دائرة العرض 12 شمالاً لا يمثلون سوى ربع المجموع الكلي لسكان القطر أما إلى الشمال من تلك الدائرة فتسود عناصر معظمها خليط من سلالات زنجية وعربية في ثقافتها ودينها الإسلامي"(1).

ويعيش في شمالي السودان عدة مجموعات عرقية واضحة : فهناك قبائل البجة الذين يسكنون التلال المطلة على البحر الأحمر، والنوبيون الذين استوطنوا وادي النيل النوبي، والعرب الذين كانوا يقطنون وسط شمالي السودان والنوبيون الذين يعيشون في تلال النوبة. وعناصر البجة من السلالة الحاميّة، وفيهم خليط من دماء زنجية، وهم رعاة إبل ، وينقسمون إلى عدة قبائل هم، من الشمال إلى الجنوب: الشبارية، والأمرار، والهدندوة، وبنو عاجر.

أما النوبيون فزراع مستقرون ، وتزداد فيهم الدماء الزنجية التي تتضح في بشرتهم البنية الداكنة. وهم في السودان ينقسمون إلى عدة قبائل، أشهرها الفذيجا والدناقلة، وهي القبائل التي تتميز بأكبر نسبة من الدم العربي أو السامي، وهم بلا شك رعاة الإبل الذين يعيشون في المناطق الصحراوية، وتشمل قبائل الكبابيش، والجعليين، والكواهلة. وسوف نتحدث عن منطقة النوبة بالتفصيل.

(1) المرجع نفسه، ص 214 .

النوبة :

لا شك في أن اسم النوبة مشتق من الجذر " نوب " الذي يعني الذهب، وثروات هذا البلد الذي كان يمتد حتى تخوم خط الاستواء كان من شأنها أن تثير المطامع ، فالفراعنة تمكنوا من فرض هيمنتهم بالسلاح على كوسن، قبل أن يبدأ باستثمارها تجارياً(1)، وذلك ما تدل عليه قطعة من الحجر المحفور عثر عليها في هيبر بنولس ، كما يدل عليه الحجر المعروف باســـم (حجر بالرمو). وهناك مقالع حجرية ، كمقلع ديوريت في أبي سمبل، تم افتتاحها لتلبية طلبات بنّائي الشمال. وكلمة نوبي ليست مفردة عرقية في مقابل كلمة " مصري "، فالمصريون ذاتهم كانوا يطلقون على أنفسهم اسم الكيميـــن (السود) ويطلقون على النوبييّن اسم تاهيزي (سكان الجنوب). والنوبيون يمتلكون سمات مغرقة في الزنجية، لأنهم كانوا بعيدين عن أشكال الاختلاط التي عرفها الشمال"(2).

(1) زيربو ، جوزيف –كي، تاريخ أفريقيا السمراء ، ترجمة د.عقيل الشيخ حسين، ط1(ليبيا ،الدار الجماهيرية للنشر والإعلان)، ص106 .
(2) المرجع نفسه، ص 133 .

وتحدث المسعودي عن النوبة فقال "إنها افترقت فرقتين: فرقة في شرقي النيل وغربه، وأناخت على (شطيه) فاتصلت ديارهم بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد أسوان وغيرهما، واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه، وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة، والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوة، وبنوا مدينة عظيمة وسموها سوبا"(1).

وهناك فرق بين النوبة الذين يحتلون الجزء الأكبر من المناطق الشمالية السودان وادي النيل ، والنوبة الذين يقيمون في جبال وسط غربي السودان. وكان من الطبيعي أن يتجمع السكان في شمالي السودان في وادي النيل ، وهي مجموعة من الأحواض المنعزلة أشبه بالواحات المستطيلة تفصلها عن بعضها حافة الصحراء التي كثيراً ما تشرف على الحفر مباشرة ، ومن أمثلة هذه الأحواض حوض كرمه، وحوض لتى في دنقلة، وحوض ودحامد في مركز شفدي(2).

ويعد الري الحوضي أساساً من أسس الزراعة في هذا الجزء من السودان، حيث تقل الأمطار إلى الحد الذي تنعدم فيه.

(1) المســعودي ، أبو الحســن بن الحســن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط4،(بيروت دار الأندلس)، ب.ت،ج1، ص 437 .

(2) ســعودي ، محمد، الوطن العربي ، دراســة الملامح الجغرافية ، ط1 (بيروت ، دار النهضــة العربية) ، 1967 ، ص 536 .

البجـة :

البجة أو البجاء هو اسم تلك القبائل الحامية الشمالية، وإن كان الاسم المتداول حالياً هو البجه بكسر الباء. والمستقر الأول لقبائل البجه في المنطقة الشرقية من نهر النيل التي تشمل وادي وجانباً من وادي النيل الأزرق حتى حدود الحبشة عند منطقة كسلا ، وكانت تتاخم حدود مصر من الشمال وتمتد على البحر الأحمر عند طوكر وسواكن(1). ومواطن قبائل البجه في المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر وأشهر قبائل البجه: الشباريون، والأمرار، والهدندوة، وبنو عامر، غير أن أكثرهم عدداً وأقواهم شكيمة هم الهدندوة الذين يقومون برعي الإبل(2).

ويشير المسعودي إلى أن البجه نزلت بين البحر الأحمر ونيل مصر وتشعبوا فرقاً ، وملّكوا عليهم ملكاً ، وفي أرضهم معدن الذهب، وتتصل سراياهم إلى بلاد النوبة. وأردف المؤرخ قائلاً إنه حين كانت النوبة أقوى وأشد من البجه، كانوا يغيرون عليهم ويسبون ، ولم يشتد ساعد البجه ويقوى إلا بعد أن ظهر الإسلام وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب"(3).

(1) محمد ، محمد عوض، السودان الشمالي ، ط1 (القاهرة ، دار النهضة المصرية) ، 1986 ، ص ص 31-32 .
(2) سعودي ، محمد، المرجع السابق، ص 535 .
(3) المسعودي، المصدر السابق،ج1 ، ص 437 .

أما ابن حوقل فإنه يشير إلى أنه "إذا أخذت من القلزم غربي هذا البحر فإنه ينتهي إلى برية قفرة لا شيء فيها ، والبجه في أعراض تلك البرية ، ولا قرى لهم ولا مدن ولا زرع إلا ما ينقل إليهم من مدن الحبشة ومصر النوبة، وينتهي في حدهم ما بين الحبشة وأرض مصر والنوبة معدن الزمرد والذهب"(1).

ويعود ابن حوقل إلى القول "إن البجه كانت أمة تعبد الأصنام إلى سنة إحدى وثلاثين هجرية عندما فتح عبد الله بن أبي السرح مدينة أسوان فأسلم أكثر البجه إسلام تكليف". إلا أنه وصفهم بأن فيهم كرماً وسماحةً في إطعام الطعام، "وهم بادية متوغلون في الجبال والآجام في عدد لا يحاط به"(2)، ثم يذكر "أن بلد البجه بين النيل والبحر يصل إليهم التجار بالصوف والقطن والحيوان من الرقيق والأبل". وتحدث عن بطون البجه التي تقارب المائتين المنتشرة بين نواحي قلعيب وبركة وهما موضعان ذوا مياه في أودية متصلة بجبل يعرف بملاحيب، وأكبر أوديته وادي بركة ، وتوجد بنواحيه بطون كريم المعروفة بعجات من البجه ، كما توجد في شرق بركة قبائل كثيرة تعرف ببازين وبادية ، وهم أمم كثيرة قتالهم بالعصي والسهام المسمومة(3).

(1) ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض ، ط1 (بيروت ، منشورات دار الحياة)، 1979 ، ص ص 48-49.
(2) المصدر نفسه، ص ص 55-56 .
(3) ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي، المصدر السابق ، ص59 .

وذكر الإدريسي إن "أرض الحبشة تجاور من جهة الشمال أرض البجه، وهي بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد وليس بأرض البجه قرى ولا خصب وإنما هي بادية جدبة، ومجتمع أهلها ومقصد التجار منها إلى وادي العلاقي، وإليه ينجلب أهل الصعيد وأهل البجه. وهو واد فيه خلق كثير وجمع غزير. والعلاقي في ذاته كالقرية الجامعة، والماء بها من آبار عذبة. ومعدن النوبة المشهور متوسط في أرضها في صحراء لاجبل حوله وإنما هي رمال لينة وسباسب سائلة"(1)، وتقدر المسافة من وادي العلاقي إلى عيذاب من أرض البجه مسيرة اثني عشر يوماً بين أرض النوبة وأرض البجه وفيها قوم رحّل يقال لهم البليون ولهم صرامة وعزم وكل من حولهم من الأمم يهادنونهم ويخافون ضرهم، وهم نصارى على مذهب اليعاقبة، وكذلك جميع أهل بلاد النوبة والحبشة وأكثر أهل البجه نصارى على مذهب اليعاقبة(2).

ويذهب ابن سعيد إلى أن أهل بلاد النوبة والحبشة سودان فيهم مسلمون ونصارى وأصحاب أوثان، وهم الذين يسيرون بالحجاج والتجار في تلك الصحاري ، ومشهورون بالأمانة(3).

(1) الأدريسي ، محمد بن عبد الله بن أدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، (القاهرة ،مكتبة الثقافة الدينية)، 1994، ص 46 .
(2) المصدر نفسه، ص 47 .
(3) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ط1(بيروت ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) ، 1970م ، ص116 .

كما ذكر القزويني عن بلاد البجه "إنها بلاد متصلة بأعلى عيذاب. أهلها صنف من الحبش. بها معادن الزمرد، يحمل منها إلى سائر الدنيا"(1).

وخلاصة القول إن مناطق البجة على صلة كاملة مع بلاد الحبشة.

الحبـشة :

الحبشة بمعنى الخليط أي جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة(2). وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن كلمة " الحبشة " إقليم في أفريقيا الشرقية اسمه الإفرنجي Abyssinia أخذ من اللفظ العربي (حبش) وكان يطلق على الناس الذين ليسوا من قبيلة واحدة، والظاهر أنه كان يطلق على قوم يسكنون جنوب بلاد العرب، لعلهم كانوا ينزلون الجزء الغربي من اليمن (تهامة) ونزحوا بعدئذ إلى أفريقيا(3).

---

(1) القزويني، زكريا بن محمد، أثار البلاد وأخبار العباد، ط1 (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر)، 1960، ص18.

(2)الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) 1995، ص 529 .

(3) ابن منظور، لسان العرب ،ج6، (بيروت ، دار صادر.د.ت)، ص 529 ، وأنظر كذلك ، الزاوي ، الطاهر، ترتيب القاموس المحيط،ط2 ، ج1، (بيروت، مطبعة عيسى البابي)،1971، ص 756 .

ويرى البعض إن أصل كلمة الحبشة يرجع إلى قبيلة (حبش) وهي إحدى أقوى القبائل العربية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب ما بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد ، واستقرت في أفريقيا ليغلب اسمها على المنطقة الشمالية في الحبشة وقد أطلق العرب اسم الحبشة على المنطقة الممتدة ما بين النيل غرباً، والبحر الأحمر شرقاً ومن النوبة شمالاً إلى ما وراء خط الاستواء جنوباً(1).

ويذكر اليعقوبي "إنها مملكة النجاشي وهي بلد واسع عظيم الشأن ومدينة المملكة كعبر، ولم تزل العرب تأتي إليها للتجارات ولهم مدن عظام ، وساحلهم دهلك"(2).

أما المسعودي الذي تردد كثيراً على شرقي أفريقيا فيذكر أن "الحبشة اسم دار مملكتهم (كعبر) وهي مدينة عظيمة ، وهي دار مملكة النجاشي، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل مُلك النجاشي بالبحر الحبشي وله ساحل فيه مدن كثيرة، وهو مقابل لبلاد اليمن ، فمن مدن الحبشة على الساحل زيلع والدهلك وناصع،

(1) يونس ، محمد المبروك، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية بأفريقيا ، ط2 (ليبيا ، الزاوية) ، 1991، ص 25 .
(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج1، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 1999م، ص 166.

وهذه مدن فيها عدد كبير من المسلمين، إلا أنهم في ظل حكم ملك الحبشة، وبين الساحل ومدينة غلافقة وهي ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحرين الساحليين"(1).

ويقول ابن حوقل "وأما الحبشة فإنها على بحر القلزم، وهو بحر فارسي ينتهي حداً لها إلى بلاد الزنجي ، وحداً لها إلى البرية التي بين النوبة وبحر القلزم، وحداً لها بين البجه والبرية"(2).

ويذكر الأدريسي "أنه يتصل بأرض الحبشة على البحر بلاد بربرة ، وهم تحت طاعة الحبشة"(3)، ويمضي قائلاً "ومن مدن الحبشة الساحلية مدينة زالغ - زيلع - وأقنت وباقط إلى ما اتصل بها من عمارات قرى بربرة"(4)، ومن مدن جنبنية إلى مدينة زالع التي على الساحل من أرض الحبشة نحو أربع عشرة مرحلة، ومدينة زالع على ساحل البحر الملح المتصل بالقلزم"(5).

ويشير أبو الفداء بهذا الصدد إلى أن "بلاد الحبشة متصلة بالبحر، وساحل الحبشة مقابل بلاد اليمن، وللحبشة مدن كثيرة وبلادهم تتصل بالخلـيج البربري"(6).

(1) المسعودي، المصدر السابق،ج1 ، ص34 .
(2) ابن حوقل، المصدر السابق ، ص16 .
(3) الإدريسي، المصدر السابق ، ص47 .
(4) المصدر نفسه ، ص43 .
(5) المصدر نفسه ، ص44 .
(6) أبو الفداء، تقويم البلدان ، (باريس ، دار الطباعة السلطانية) ، 1840 ، ص 153 .

أما العمري، الذي يعد أول من تحدث عن ممالك الطراز الإسلامي السبع في الحبشة ، فيذكر لنا حدود الحبشة قائلاً "إن أول بلادهم من الجهة الشرقية المائلة إلى بعض الجهة الشمالية بحر الهند واليمن والجهة الغربية إلى بلاد التكرور وما يلي من جهة اليمن"(1). ثم يقسم الأقاليم إلى أحد عشر إقليماً وكان آخر إقليم في ترتيبه إقليم الطراز الإسلامي. وقد ذكر بالتفصيل ممالك الطراز الإسلامي السبع الواحدة تلو الأخرى وهي: ممالك أوفات، ودارو، وأرابيني، وهدية، وشرخا، وبالي، ودارة(2).

وأفرد المقريزي كتاباً للممالك الإسلامية المذكورة فذكر الحدود الجغرافية للحبشة وتقسيم أقاليمها كما فعل العمري فكان آخر إقليم في ترتيبه إقليم الطراز الإسلامي الذي يقال له الزيلع(3).

المناطق الساحلية - بلاد الزيلع:

زيلع هي أشهر مدن وموانئ الساحل الصومالي، فقد احتلت موقعاً استراتيجياً عند مدخل ما يطلق عليه الآن باب المندب شمالي مدينة بربرة. وكان لهذا الموقع أهمية خاصة في زيادة أهمية المدينة كميناء لا سيما مع تصاعد حركة التبادل التجاري بين الداخل الأفريقي وعالم المحيط الهندي.

(1) العمري، ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج4 ، (فرانكفورت، معهد العلوم العربية الإسلامية) ، 1988ف، ص ص 185-186.
(2) العمري، ابن فضل الله: المصدر السابق،ج4 ، ص ص 24-26 .
(3) المقريزي ، الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام، (مصر، مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر)، 1995، ص ص1-2 .

لقد كان لزيلع دور مهم ومتميز في عملية تصريف السلع والبضائع. وقد كانت هذه المدينة منفذ الحبشة الوحيد عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، فهي أقرب الموانئ إلى تلك البلاد، ولذا نجد أن جغرافيي العرب في العصور الوسطى يعدون زيلع من ضمن بلاد الحبشة ، كما أن اسم مدينة زيلع ازداد شهرة في القرن الثامن الهجري.

إن مدينة زيلع هي ميناء أفاليتس Avalites القديمة ، وهي على بعد خمسين ميلاً جنوب مضيق باب المندب(1). ويقصد بالزيلع ذلك الصنف من أنواع الودع المعروف بصغر حجمه والذي تكون وترسب وتركز في المياه المحيطة بها(2). ويمكن القول أن مدينة زيلع اكتسبت شهرة متميزة عن سائر مدن بلاد القرن الأفريقي الأخرى عند المؤرخين والجغرافيين العرب فقد ذكرها جلهم ومنهم اليعقوبي الذي أشار إلى إن زيلع تقع حيال المندب(3).

(1) السراج ، زين العابدين عبد الحميد ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي فيما بين القرنين 6-8هـ /12-14م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، 1986 ، ص 26 .
(2) المصدر نفسه، ص 28 .
(3) اليعقوبي ، المصدر السابق، ص10.

لقد كانت زيلع أهم المواقع العربية على ساحل الصومال الشمالي، وكانت تتحكم بتجارة هضبة الحبشة وما وراءها مع الجزيرة العربية والشرق الأفريقي، فمن زيلع كانت تصدر منتجات الحبشة والصومال وأهمها الجلود والصمغ والسمن والعاج وعطر الزباد، وتصل إليها الواردات كالأقمشة والتمور والأسلحة والأواني الخزفية والفخارية(1).

وفي أوائل القرن السادس الهجري ذكر الحموي إن زيلع قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش بها طوائف من السودان قال إنهم مسلمون(2). وبعده ذكر ابن سعيد إن زيلع من مدن الحبشة المشهورة وأهلها مسلمون يكثرون الحج والتردد على ساحل عدن وزبيد، وهي محل حطٍ وإقلاع(3).

ويتحدث أبو الفداء عن مدينة زيلع قائلاً " وزيلع فرضة الحبشة نحو أرض اليمن وفيها مغاص وهي بين خط الاستواء وبين الإقليم الأول، ونقل عن بعض من رآها أن زيلع مدينة صغيرة نحو عيذاب في القدر وهي على الساحل ومنها شيوخ يحكمون بين أهلها وعندهم ينزل التجار ويضيفونهم ويبتاعون لهم(4).

(1) Leuis,I.M.,The Modern History of Somali Land,New York,1965, p21.

(2) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ، المجلد الثالث، ج5، (بيروت ، دار صادر) ، 1955م، ص 173 .

(3) ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص99 .

(4) أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل الأيوبي: كتاب تقويم البلدان ، (بغداد، منشورات مكتبة المثنى)، 1950، ص162

ويسمى الدمشقي زيلع باسمها الصومالي (عَوْدل) وما زال هذا الاسم متداولاً بين الصوماليين المحليين(1)، وقد مر الرحالة العربي ابن بطوطة بزيلع في طريقه من اليمن إلى شرقي أفريقيا وقال عنها " إنها مدينة كبيرة وهي مدينة البرابرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وهي أول بلاد البرابرة ، ولها سوق عظيمة ، إلا أنها مدينة نتنة بسبب كثرة سمكها ودماء الإبل التي ينحرونها في أزقتها(2).

وتحدث ابن الوردي عن الزيلع فقال "وهي تجاور الحبشة من الجنوب وهم أمم عظيمة والغالب عليهم دين الإسلام والصلاح والانقيـاد إلى الخير(3).

ويتضح لنا من خلال ما أورده الكتّاب العرب عن مدينة زيلع أن موقعها جعل منها مدينة معروفة منذ وقت مبكر، وهي ميناء مهم ، فقد أشارت أغلب المصادر إلى إنها كانت نشيطة في حركة التجارة ، وأكدت أنها كانت محطة للتجارة بين بلاد بربرة وساحل عدن وزبيد والحجاز وعالم المحيط الهندي في عمومه، وهي تعد كذلك مدينة إسلامية عامرة فأهلها مسلمون جميعاً(4)،

(1) Cambridge History Of Africa, vol53, Cambridge M.P.1977, p139.

(2) ابن بطوطة ، رحلة بن بطوطة المسـماة تحفة النظار في غرائب الأمصـار وعجائب الأسـفار، تحقيق كرم البتاني، (بيروت، دار صادر)، 1960، ص252 .

(3) ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر، فريدة العجائب وفريدة الغرائب، (القاهرة، .ب.ت)، ص 137

(4)السراج، زين العابدين عبد الحميد، المرجع السابق ، ص 30.

وعلى الرغم من صغر المدينة فإن عدد سكانها كان كبيراً ، وكانت تستقبل أعداداً كثيرة من المسافرين إليها من التجار، وهي محطة رئيسية لسفن ومراكب البحر الأحمر التي تعمل في التجارة حيث تتزود منها بالمؤن والبضائع، فميناء زيلع كان لا يخلو من المراكب والسفن في جميع فصول السنة.

أما عن تأسيس مدينة زيلع فيذكر أنها أقيمت على أيدي عرب من اليمن، بدأت هجراتهم من بلادهم إلى الجزر المقابلة لها حيث نشأ الكثير من المدن الأخرى المطلة على المحيط الهندي. ويبدو أن زيلع قامت على أنقاض إمارة عربية أسسها عرب ترجع أصولهم إلى قبيلة قريش، فقد وصلوا إليها عن طريق باب المندب، وبعد زمن من إقامتهم فيها هجروها إلى منطقة (شوا) الحبشية في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)(1).

ولم يمض وقت طويل حتى تطورت دولتهم بفضل نشاطهم المتزايد، فاتسعت وقويت دولتهم وتمكنوا من أن يضموا إليهم مدينة زيلع ، واستمر حكم أسرتهم حتى العام 700هـ/1300م.

(1) المصدر السابق، ص 30.

التحديد الجغرافي لساحل أفريقيا :

يشمل شرقي أفريقيا، حسب المفهوم الحديث، دول كينيا وأوغندا وتنزانيا، أو ما كان يعرف باسم (شرقي أفريقيا البريطاني)، فضلاً عن رواندا وبورندي، وسميت المنطقة بشرقي أفريقيا لأن الطابع الذي يميزها عن غيرها تستمده من موقعها الجغرافي في شرقي القارة ، فالأخدود الغربي يكاد يكون فاصلاً بين هضبة شرقي أفريقيا وبين منخفض زائير(1)، الأمر الذي جعل علاقات السكان وتوجههم منذ القدم نحو الساحل المطل على المحيط الهندي، وهو الذي كانت تتدفق إليه التجارة الشرقية الخاضعة للنفوذ العربي، ولم يأت القرن الأول الميلادي حتى بدأ استقرار العرب بصورة جماعية على الساحل الأفريقي الشرقي، وبدأت حركة تجارية مزدهرة واختلط في هذا الساحل العرب والفرس والهنود بالسكان المحليين، مما أدى إلى ظهور جنس هجين جديد أطلق عليه اسم الشعب السواحيلي(2).

(1) سعودي، محمد عبد الغني، المرجع السابق ص 205 .

(2) خلف الله، عبد الغني عبد الله، مستقبل أفريقيا السياسي، تاريخ شعوب القارة الحديثة وأوجه التطور المحتملة فيه ، ط2(القاهرة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة)، 1961 ، ص 465 .

ويقدم الجغرافيون والمؤرخون العرب كثيراً من المعلومات التي تتعلق بساحل شرقي أفريقيا ابتداء من القرن الثالث الهجري، فقد سبق جغرافيو العرب ورحالتهم ومؤرخوهم نظراءهم في العالم الغربي في مجال المعرفة الأفريقية. ويعود ذلك إلى الخبرة الواسعة التي اكتسبها العرب منذ القدم نتيجة لرحلاتهم وأسفارهم في المحيط الهندي، مما مكنهم من الإلمام بمعرفة سير الرياح الموسمية التي استفادوا منها في الوصول إلى موانئ ساحل أفريقيا الشرقي، وازدادت معلوماتهم عن تلك البقاع حينما وقفوا على ترجمة المؤلفات الجغرافية القديمة(1).

وقد أصبحت كتب العرب ومؤلفاتهم أساساً لاستقصاء المعلومات المهمة حول أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية(2). وتعد كتابات سليمان التاجر أقدم النصوص التي وصلتنا عن شرقي أفريقيا. وقد وصف التاجر السواحل الشرقية من أفريقيا والمواني المختلفة وسكانها والمحاصيل والمنتجات وسلع التجارة ، كما وصف الملاحة في المحيط الهندي وكذلك بلاد الزنج زنجبار(3).

(1) المرجع السابق، ص 465.
(2) الخشـــاب، وفيق إبراهيم المشـــهداني، أفريقيا جنوب الصـــحراء ، (بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي) ، 1978 ، ص 8 .
(3) كراتشـــكو فســـكي ، أغناطوس ، تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب ، ترجمة صـــلاح الدين هاشـــم ، ط1 (القاهرة ، جامعة الدول العربية)،1963 ، ص 141 .

وفي القرن العاشر الميلادي ضمَّن ابن رسته كتاب الأعلاق النفيسة معلومات مفيدة عن ساحل شرقي أفريقيا، وأفاض كثيراً في حديثه عنه، وقال عن الجزء الغربي من المحيط الهندي "لم أجد أهول من بحر الزنج فموجه عظيم كالجبال الشواهق ، وهو موج أعمى ، يرتفع ارتفاع الجبال وينخفض كانخفاض ما يكون من الأودية\، لا ينكسر موجه ولا يظهر في ذلك زبد"(1). وقد أقام المسعودي في الساحل الشرقي لأفريقيا زمناً، ولكنه لم يتخط الساحل إلى الداخل كثيراً. ووصف المسعودي الزنوج "بأنهم يعيشون في إقليم يمتد مسافة ألفين وخمسمائة فرسخ على الساحل صوب الجنوب في المنطقة المعروفة حالياً بالقرن الأفريقي الذي يمتد شمالاً إلى موزمبيق ، وجنوباً إلى سفالة، وهي أرض الذهب وكثيرة العجائب(2). كما ذكر المسعودي جزيرة (قنبلو) وقال عنها أنها جزيرة حارة فيها قوم من المسلمين بين كفار الزنوج وكلهم في حكم أمير مسلم إلا أن لغتهم زنجية ، وتتردد عليها المراكب العمانية(3) وقد حدد تاريخ استقرار المسلمين في قنبلو بقرن ونصف قرن من الزمان، وذلك قبل رحلته.

---

(1) المسعودي ، المصدر السابق،ج1 ، ص 122 .

(2) المصدر نفسه ، ص 424 .

(3)المصدر نفسه،ج1، ص 437 .

وهناك كثير من المعلومات عن ساحل أفريقيا الشرقي في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي(1)، وبفضل ما أورده لنا الجغرافي الإدريسي، وإن كان الجغرافي لم يرحل إلى الساحل كما فعل المسعودي، ولكن من المؤكد أنه استمع كثيراً وقرأ أكثر فأتى في وصف الساحل الأفريقي الشرقي بتفاصيل دقيقة ومهمة ، وذكر ذلك في كتابه المعروف (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)(2) وعلى هذا الأساس يمكن أن توصف كتابات الأدريسي فيما يخص شرقي أفريقيا بأنها من المصادر الأولية المهمة التي تحدثت عن مدن الساحل وجزره ، ومن هذه المدن كلوة التي ذكر أن لها تجارة مع سفالة وماليندي التي وصفها بالازدهار(3)، وقال عنها إنها مدينة الزنج الذين يمتلكون فيها مناجم الحديد مما يدل على الصلات التي كانت قائمة بين شعوب الداخل ومن يفد على الساحل من التجار العرب أو غيرهم . كما وصف الحياة التجارية في ساحل شرقي أفريقيا، ورسم خريطة لأفريقيا كانت أكثر دقة بكثير من الخريطة التي وضعها بطليموس في القرن الثاني الميلادي(4)

---

(1) قاسم، جمال زكريا، المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا، (القاهرة، مجلة البحوث التاريخية المصرية) 1986، ص ص 160-230.

(2) الأدريسي ، المصدر السابق ، ص 208 .

(3) المصدر نفسه، ص 209.

(4) جوليان، شارل، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرقي أفريقيا ، عربها ملخصاً الأمير يوسف كمال، (القاهرة ، د.ن) 1927 ، ص ص 75-77 .

وسجل في هذه الخريطة عدة مواقع على ساحل شرقي أفريقيا منها أربعة مواقع لا تزال موجودة على المصادر الجغرافية الحديثة وهي : سوقطرة ومركة وماليندي ومنبسة(1). وتبين لنا من وصف الأدريسي للحياة في الساحل الشرقي لأفريقيا أن العرب احتلوا مكانة كبيرة في هذه المنطقة بعد أن آل إليهم حكم معظم الساحل.

ولعل ياقوت الحموي أول من أشار إلى السواحيليين وسماهم (البربر)" وقد أسهب الحديث في كتابه عن مدينة مقديشو فذكر "إنها أول بلاد الزنج يسكنها البربر ، وهم غير البربر الذين يعيشون بالمغرب لا يحكمها ملك وإنما يدير أمور الناس المتقدمـون على اصطلاح لهم"(2).

(1) دافيد سون ، بازال ، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، ط1، (بيروت، مكتبة الحياة)، 1965، ، ص 218.

(2) الحموي ، المصدر السابق، ص 173 .

بلاد بربرة :

بربرة هو الاسم القديم الذي كانت تعرف به بلاد الصومال ، " وبربرة هي ميناء في مدخل مضيق باب المندب على الساحل الغربي للمحيط الهندي المقابل لساحل عدن(1).

ومعروف أن العرب قد فرقوا بين بربر بلاد الصومال وبربر الشمال الأفريقي. ونلحظ أن اسم بلاد البربر قد اقترن بتعريفات متعددة ذات صلة بهم، فقد أطلق العرب على الساحل المقابل لساحل عدن ساحل بلاد بربرة ، وقالوا ميناء بربرة ، والخليج البربري وبحر بربرة ، وكذلك مدن وقرى بلاد بربرة كما أشار الإدريسي إلى "أن العرب فرقوا بين البرابرة وبين من جاورهم من الأمم الأخرى كالزنوج مثلاً "(2).

وقد فرق الحموي بين بربر بلاد القرن الأفريقي وبربر بلاد المغرب العربي أثناء حديثه عن مدينة مقديشو التي قال عنها " إنها مدينة من أول بلاد الزنج في جنوب اليمن في بر البربر في وسط بلادهم وهؤلاء البربر غير البربر الذين هم بالمغرب هؤلاء سـود يشبـهون الزنـج ، جنـس متوسط بين الحبش والزنوج(3).

(1) جاء أول ذكر كلمة (صومال) في أنشودة حبشية خلدت انتصارات النجاشي إسحاق (1414- 1429) على إمارة أفات الإسلامية التي كانت تقع شرق الحبشة وازدهرت في القرنين الرابع عشر وأوائل الخامس عشر الميلادي ، ولما سـقطت عام 1415 قامت على أنقاضـها إمارة عدل الإسـلامية ، انظر عبد الرحمن زكي ، الإســلام والمســلمون في شــرقي أفريقيا ، ص66 ، تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الرابع ، ص 429 وأنظر Lewis: people of the Horn of Africa

(2) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 43.

(3) الحموي ، المصدر السابق ، ص 173 .

ويمكن القول أن مدينة بربرة هي قاعدة البرابرة ، ونهر الجب هو الحد الذي يفصل بين بلاد البرابرة وبلاد الزنج ، ومدينة قرفونة هي أول مدن بربرة على ساحل المحيط الهندي ، ومدينة برمة تقع شرق جبل خافوني ، ومدينة مركة تقع إلى الشرق من جبل خافوني ، ومدينة بطا ضمن بلاد الحبشة وفي شمالها تقع مدينة باقصلي ، والتي ذكرها الإدريسي باسم باقطى. ومدن بلاد بربرة كثيرة، ومنها جوة وبدونة وزيلع، وشهرة هذه المدن تجاوزت حدود العالم الإسلامي.

بلاد الزنـــج:

تقع بلاد الزنج في المنطقة المطلة علي المحيط الهندي في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أفريقيا على خط عرض 6 جنوباً ، ونجد أن الجغرافيين العرب في العصور الوسطى قد أطلقوا على سكان شمال القرن الأفريقي اسم البربر فيما أطلقوا على سكان جنوب القرن اسم الزنج .

يذكر المسعودي أن "بربرى، ناحية من بلاد الزنج والحبش، وهي ليست التي ينتسب إليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من أرض أفريقيا"(1).

(1) المسعودي، المصدر السابق، ص 123.

وأشار القزويني إلى بلاد الزنج وقال " أن مدينة مقديشو هي أول بلاد الزنج في جنوبي اليمن على ساحل البحر ، وأهلها غرباء لا سلطان لهم، ومنها يحمل الصندل والأبنوس والعنبر والعاج إلى غيرها من البلاد"(1). وكانت مدينة كلوة موجودة في أيام ياقوت الذي أشار إليها في معجمه، وقال عنها "أنها مدينة في أرض الزنج والظاهر أن حكام كيلوا في ذلك الوقت كانوا من المسلمين"(2). ومن الواضح أنه حتى ذلك الوقت لم تكن هناك حضارة إسلامية أقيمت في أي مكان على الساحل سوى في ميناء مقديشو ، إلا أنه نتيجة لانتشار الحضارة الشيرازية تجاه الجنوب حل الحكام المسلمون تدريجياً محل الزنج، فانتشر الإسلام هناك، الأمر الذي أوجد جذوراً لنشوء الحضارة الإسلامية في مدنها وقراها .

سـفالة :

وهي أقدم الموانئ على الشاطئ الأفريقي وقد قصدها العرب للمتاجرة بالذهب كما جاء إليها جماعة من المسلمين من بلاد فارس وبالتحديد من منطقة شيراز وأقاموا بها. وذكرها المسعودي قائلاً "إن بلاد سفالة هي أقصى بلاد الزنج ، وإنها بأسفل بحر الزنج وتتاخم بلاد الواق واق"، كما أشار في موضع آخر إلى أنها "آخر حدود البلاد التي كانوا ينزلونها ،

(1) القزويني: المصدر السابق، ص62 .
(2) الحموي، المصدر السابق، ص 173.

وغاية مقاصد السفن القادمة إلى عمان وسيراف، وهي بلاد تنتج التبر بكثرة ومناخها دافئ وتربتها خصبة وقد أقام فيها الزنج قصبة بلادهم"(1).

أما ياقوت فقد وصفها بقوله " إن سفالة آخر مدينة تعرف بأرض الزنج ، وتجلب إليهم الأمتعة ويتركها التجار ، ويمضون ثم يجيئون ، وقد تركوا ثمن كل شيء عنه ويقال لهذا التجارة الخفية"(2).

ووصفها ابن الوردي "بأنها فريدة العجائب وفريدة الغرائب وهي تجاور أرض الزنج ، وهي أرض واسعة بها جبال فيها الحديد ، ولكن معادن سفالة أطيب وأصح وأرطب ، والهنود يصنعونه فيصير فولاذاً قاطعاً. ومن عجائب أرض سفالة أن بها التبر الكثير ظاهراً زنة كل تبرة مثقالان وثلاثة وأكثر وهم مع ذلك لا يتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه على الذهب ، وأرض سفالة متصلة بأرض الواق واق"(3). وتعد سفالة الثغر الوحيد في شرقي أفريقيا الذي يصدر الذهب ، ثم أخذ التجار تدريجياً يتجهون جنوب كولمانه شمالي نهر الزمبيري. ويبدو أن سفالة القديمة كان لها شأن في المنطقة ولكن أهلها هجروها فيما بعد وأعيد بناؤها في الأراضي المجاورة للمدينة القديمة، وبرزت سفالة الجديدة وهي بلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن بضعة آلاف، وقد وصفت سفالة الجديدة إنها بلدة صغيرة(4).

(1) المسعودي ، المصدر السابق،ج1 ، ص 314 .
(2) الحموي ، المصدر السابق ، ص 310 .
(3) ابن الوردي ، المصدر السابق ، ص 240.
(4) المصدر نفسه ، ص 244 .

2- التركيب السكاني

(2-أ) النوبة والبجة :

أولاً : النوبة :

من المعروف أن كلمة "نوبي" ليست مفردة عرقية في مقابل كلمة مصري، فالمصريون ذاتهم كانوا يطلقون على أنفسهم اسم الكيمين (السود) ويطلقون على النوبيين اسم ناهيزى (سكان الجنوب). ولا يمنع ذلك من كون النوبيين يمتلكون سمات مغرقة في الزنجية ، لأنهم كانوا بعيدين عن أشكال الاختلاط التي عرفها أهل الشمال(1). وقد أدى امتزاج القبائل الكوشية-الحامية التي عاشت في العصور القديمة المبكرة على ضفتي النيل ومصر مع عدد من القبائل الحامية الأخرى إلى ظهور الأقوام النوبية الذين عرفهم الأدب الجغرافي العربي باسم البرابرة، وقد احتلوا مع بعض القبائل السودانية الجزء الأكبر من المناطق الشمالية للسودان الحالية ، وانصهر فيهم عدد من العناصر السودانية(*).

---

(1) زيربو ، جوزيف ، المصدر السابق، ص 106.

* هناك فرق بين النوبة التي تحتل الجزء الأكبر من المناطق الشمالية لسودان وادي النيل والنوبة التي تقع في جبال وسط غرب السودان .

وفي بداية القرن الرابع الميلادي ، انقسمت دولة مروى إلى قسمين: الشمالي، وقد سمي من جديد باسم دولة نوباديا وهي النوبة، والقسم الجنوبي الذي أطلق عليه اسم دولة أكسوم. وفي القرن الرابع اعتنق ملوك النوبة المسيحية وعندما اعتنقت مصر الإسلام، بعد أن فتحها العرب المسلمون، أصبحت النوبة ملجأ للفارين من المسيحيين. وتعرضت النوبة في الوقت نفسه إلى غارات وحملات الوثنيين الذين فروا من وجه الإسلام. وقد أدى ذلك إلى تمزق وحدة دولة النوبة، وانعزلت دولة أكسوم المسيحية، وانتقلت عاصمة البلاد إلى مدينة دنقلة شمالي السودان. وقد شكلت النوبة لعدة قرون جبهة قوية لمقاومة الغزو ومحاولات مصر لإخضاعها لسلطانها.

وفي عام 695هـ/1275م استطاع المماليك، سلاطين مصر، إخضاع دنقلة، وأصبحت النوبة دويلة تابعة لمصر، واتنق ملوكها الإسلام. وقد ازداد تغلغل العرب في الجنوب والجنوب الشرقي منها، وانقسمت النوبة إلى أقسام صغيرة كل واحدة منها خضعت لسيادة قبيلة عربية. وقد أنشأ العرب في الأقسام الشرقية للنوبة المتاخمة للحبشة دولة سنار التي أخضعها الفونج في عام 906هـ/1500م. ومما لاشك فيه أن مصر قد أثرت كثيراً على النوبة وحضارتها ونظمها الاجتماعية، إذ نقل إليها الكهنة المصريون، وحكامها الفارون من مصر، العمل العبودي، كما انتقلت إليها

كذلك الحضارة الهلينية التي تغلغلت في الأوساط الحضارية بالبلاد التي كان معظم سكانها من الرعاة النوبيين. ومع ذلك استطاع الزراع البدائيون السودانيين الاحتفاظ بطابعهم الخاص وتنظيماتهم دون أن يطرأ عليها تغيير يذكر. ولم تؤثر مصر القديمة أو الحضارة المسيحية الغربية في تكوينهم الاجتماعي، غير أن التأثير العربي أصبح فيهم واضحاً، كما نراه في الكثير من العادات والتقاليد العربية التي اتخذوها، وعلى الرغم من ذلك استطاعوا الاحتفاظ خلال آلاف السنين بطابعهم الاقتصادي المميز الذي أبرزهم عن غيرهم من الشعوب الأخرى(1).

ثانياً: البجــه:

البجه أو البجاء هو اسم تلك القبائل الحامية الشمالية كما ذكرنا سابقاً. ويميل علماء الأجناس إلى الربط بينهم وبين قدماء المصريين في أقدم عصور التاريخ، ومما يستدل منه على وجود قبائل البجه بشكلها المستقل ومناطقها المحددة منذ أقدم العصور. ويرجع نسب البجه إلى تلك القبائل التي نزحت في بادئ الأمر من جزيرة العرب ثم اتصلت بقدماء المصريين، ومن هنا كانت الروابط بينهما منذ القدم ولكن اختلاف الطبيعة وكثرة الأمطار في مناطقهم جعل منهم بدواً رحلاً ورعاة أبقار(2).

(1) الأحمد ، محمد مصـــباح، تاريخ العلاقات العربية الأفريقية،ط1، (بيروت، دار الماتقى للطباعة والنشـــر)، 2001، ص 23.

(2) الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام،ط1، (ليبيا، منشورات جامعة قار يونس بنغازي)، 1998، ص 56.

ويذكر المسعودي "أن البجه نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وتشعبوا فرقات وملكوا عليهم ملكاً ، وفي أرضهم معادن الذهب ، وتتصل سراياهم إلى بلاد النوبة ويذكر أنه حين كانت النوبة أقوى وأشد من البجه كانوا يغيرون عليهم، ويسبون، ولم يشتد ساعد البجه ويقوى إلا بعد أن ظهر الإسلام وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، واشتدت شوكة البجه وزادت قوتهم عندما سكن تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، حيث اختلطوا بهم، فقويت البجه بمن صاهرهم من ربيعة(1).

وانقسمت قبائل البجه إلى ثلاث مجموعات هي :

1- المجموعة الشمالية : وهم العبابدة، وكانت لهم علاقات وثيقة بالفراعنة، وقد اتخذت العربية فيما بعد لغة لهم.

2- المجموعة الجنوبية : وهم بنو عامر، وكانوا تحت التأثير الحبشي الشديد عليهم، وقد تكلموا لغة التيجرى .

3- المجموعة الوسطى : البشارة والهدندوة، وقد احتفظوا بلغتهم ذات الطابع الكوشي(2).

(1) المسعودي ، المصدر السابق،ج2، ص18.
(2) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 56.

ويبدو أن البلاد التي كانت تعيش فيها قبائل البجه ومملكة مروى النوبية كانت أغزر أمطار وأكثر نباتاً في العصور القديمة، ولكنها بدأت في الجفاف بعد ذلك، مما دفع هذه القبائل إلى الهجرة، فنزحت إلى الشرق في أعداد وأفواج كبيرة، ووصلت السهول والمرتفعات الجبلية في شرقي السودان إلى البحر الأحمر، مكتسحة أمامها قبائل البوغوسي وشمال الحبشة، وهذا ما جعلها مصدراً دائماً للقلاقل والاضطرابات لمملكة النوبة المسيحية التي طاردتهم. وما أن حل القرن الأول الهجري، عندما دخل الإسلام إلى مصر وتوطدت أصوله بها، حتى بدأت مناوشاتهم مع مملكة النوبة المسيحية مرة أخرى، حين كانت هجرتهم إلى الشرق قد بلغت أوجها، وأصبحت حاجزاً منيعاً في شمال الحبشة جعل اتصالها مع العالم الخارجي متعذراً عن هذا الطريق لعدة قرون. وكانت قبائل البجه وتعداد سكانها الكبير مصدراً من مصادر القوى العاملة التي استعان بها قدماء المصريين، ثم العرب فيما بعد، للعمل في المناجم الموجودة في شمال السودان وأرتيريا، وأهمها مناجم الذهب

وكان لاستقرارهم حول هذه المناجم أثر كبير في عقائدهم. وعندما بدأ العرب يحلون محل المصريين اختلطوا بالبجه، كما زادت الروابط بينهم في كثير من المناطق الأخرى، وأهمها الموانئ فانتشر الإسلام بينهم واستمر انتشاره حتى أصبح جميع البجه مسلمين(1).

(2-ب) الأحـــبـاش:

الأحباش هم أكثر من أتصل بجزيرة العرب قبل الإسلام ، وهم اختلطوا بالعرب وعاشوا بينهم وتكيفوا معهم. وكانت التجارة هي القاسم المشترك بين العرب والأحباش، فقد اشتغل العرب بنقل منتجات الشرق الأفريقي المختلفة إلى البلاد المجاورة لهم في رحلاتهم التجارية وخصوصاً إلى بلاد العراق والشام. ويشمل الأحباش معظم سكان القرن الأفريقي: الصومال، والحبشة، وأرتيريا، وبلاد البجه حيث لم يكن هناك وطن واحد بحدود ومعالم جغرافية واضحة في أفريقيا. فمثلاً الحبشة هي أصلاً أرض بلاد الحبشة، وأثيوبيا هي أرض بلاد الوجوه المحروقة إشارة إلى سواد ألوانهم(2).

(1) سـبي، عثمان صـالح: تاريخ أرتيريا ، (بيروت ، شـركة النهار للخدمات الصـحفية) ، 1974 ، ص ص 74-75.

(2) عثمان ، عبد الرزاق علي ، القرن الأفريقي ، التاريخ والجيوبولوتيكا، مجلة مركز الوثائق والدراسـات الإنسانية ، جامعة قطر العدد الرابع، 1922 ، ص 368.

إلا أن سكان بلاد القرن الأفريقي في عمومهم عرفوا قديماً لدى العرب (الأحباش) فقد استخدم العرب لقب (الحبشة) كتعبير فضفاض وواسع للدلالة على جميع سكان بلاد القرن الأفريقي نتيجة لما يربط هذه الشعوب من تشابه عرقي ولغوي .

وفي النقوش السبئية وردت كلمة حبشة مصطلحاً يدل دلالة واضحة على أن الحبشة هي أرض الإمبراطورية الأكسومية، وسكانها قبيلة من عرب الجنوب اتصلت بهؤلاء واحتكت بهم احتكاكاً وثيقاً(1). وقد انتهى روسيني في بحثه استناداً على أسس تاريخية وجغرافية إلى القول "إن المهاجرين الجنوبيين من قبيلة (حبشت) لم يأتوا من الساحل الجنوبي (حضرموت) بل إنهم قدموا من ساحل اليمن حيث تسهل عملية العبور إلى ساحل أرتيريا، ويذكر كذلك أن المواطن الرئيسية (لحبشت) كانت بمقاطعة سحرتان القديمة حيث يوجد في هذه المنطقة جبلان يحمل إحداهما اسم حبش والآخر اسم حبيش وعلى وجه التحديد على مقربة من لحية، ما بين وادي بيشي ووادي سردود، وأن مقاطعتي سحرت وهوزين في إقليم تجراى شمال الحبشة تقابلان سحرتان وهوازن في اليمن. ويعتقد روسيني أن هؤلاء الحبش هاجروا في القرن السادس قبل الميلاد أو قبل ذلك التاريخ"(2).

(1) "دائرة المعارف الإسلامية الجديدة"، المجلد الثالث عشر، مادة حبشة، ص 279 .

(2) الطيبي، أمين توفيق، الحبشة عربية الأصول والثقافة، ط1، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية)، 1993، ص ص 31-32.

كما قام المؤرخ الألماني إدوارد جليسر بدراسة عميقة ومستفيضة للمصادر العربية وعدد من النصوص السبئية التي ورد فيها اسم (حبشت)، وقد أوجز هذا المؤرخ مجرى الأحداث فقال "كانت سبأ قد تحالفت مع حضر موت ضد حمير ووجدت حبشت نفسها مضطرة إلى الانضمام إلى التحالف، ثم انحازت إلى حمير فهزمتها حضر موت وضمتها إلى أراضيها مما أدى إلى هجرة سكانها إلى أفريقيا"(1).

كان الوضع بالنسبة للحبشة يختلف عن بقية أقاليم القرن الأفريقي ، فبينما أسس مهاجرون دخلاء دولة النوبة ، قامت دولة أكسوم الحبشة من قلب واقع القارة الأفريقية. فلقد وصل الحاميون إلى المنطقة، ونتج عن ذلك العنصر السائد فيها، ولكن الاختلاط لم يكن على درجة واحدة في مختلف المناطق وبين مختلف القبائل التي تسكنها ، ويبدو أن الأصل الحامي أكثر صفاءاً ونقاءاً وأشد وضوحاً في قبائل البجه في الشمال، وأنه يبدو غالباً في قبائل الأجاو التي تسكن في قلب الهضبة، وكذلك في المناطق الجنوبية التي تضم قبائل السيداما.

(1) جليسر، نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 31.

وعلى الرغم مما تعرضت له هذه المنطقة من الاختلاط بالساميين الذين غزوا البلاد فيما بعد واستولوا على الهضبة، حيث يكثر الحاميون، فإن الأصل الحامي بقي واضحاً بين قبائل التجراى والأمهرة وفي مقاطعات جوجام وشوا. وكذلك اختلطت قبائل الأجاو في عصور متأخرة بسكان الشمال المطعمين بالدم السامي ولكنهم كانوا أكثر احتفاظاً بعنصرهم ولغتهم وعاداتهم ومعتقداتهم .

سكن في عصور ما قبل الميلاد في أثيوبيا الحالية و الصومال قومان كبيران : الحاميون (كوشى رجالا صومال) والزنوج. وأقاليم سكان شرقي أفريقية كانت هذه المنطقة تضم خليطاً واضحاً من القبائل الحامية الزنجية التي تولد عنها الأقوام النيلية، أي أنها كانت خليطاً في العنصر بين حامي وزنجي ثم خليطاً منهما مع خليط آخر من الحاميين والساميين، وبصفة خاصة العرب الساميين الذين هاجروا منذ أقدم العصور إلى الحبشة من جنوب الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر، وبصفة خاصة من سبأ. وهذا الخليط بين الحاميين والساميين لم يتشبع بكمية كبيرة من الدماء الزنجية. وتعددت كذلك اللغات، فلكل جنس من هذه الأجناس لغته الخاصة، حتى أن الجنس المتميز من خليط الساميين والحاميين كان يتكلم لغتين مختلفتين هما اللغة التجرينية والأمهرية لغة الشعب الذي أسس دولة الحبشة الحديثة(1).

(1) غيث، فتحي: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، (القاهرة، دار المعارف) ب،ت، ص 21.

وكان الساميون أرقى العناصر جميعاً حضارة وهم حملة الحضارة إلى الحبشة،وهم الذين أسسوا الدولة الأكسومية الزاهرة،بعد أن استقروا في الوطن الجديد وتأثروا بطابع البيئة الحبشية وتفاعلوا مع العناصر الحامية الأفريقية.وكان لكل من تلك العناصر لغتها الخاصة فالكوشيون يتكلمون الكوشية، ويتكلمها في الحبشة شعوب كثيرة كشعب البجه والأجاو والساهو والجالا والكافنيو وغيرهم(1).

وكانت الأقسام الشمالية من الحبشة حتى القرون الأخيرة قبل الميلاد، وفي منطقة تيجري، تخضع للدولة النوبية، ثم تعرضت في أوائل التاريخ الميلادي للتأثير العربي القادم من جنوب الجزيرة العربية ، وقد نشأت في ذلك الوقت دولة أكسوم المستقلة(2).

ومما تجدر الإشارة إليه بصفة خاصة، إنَّ تأثير الساميين العرب على الحبشة كان واضحاً بين القبائل التي اختلطت بهم، وأوجد ذلك بينها رابطة جديدة، غلبت في كثير من الأحيان على الخلافات القبلية القديمة وإن احتفظت كل منطقة - إلى جانب ذلك - بعصبيتها ولغتها. ومنذ العصور القديمة تميزت المقاطعات الأربع (تيجري - أمهرا - جوجام - شوا) ،

(1) عبد المجيد، عابدين، بين الحبشة والعرب، (القاهرة ، دار المعارف)، ص 9 .
(2) Sik Endre, Fekete Africa Torenetes, L. Kotet, Budapest, 1964, p70.

وتركزت سلطتها في شمالي الهضبة، وتكونت منها مملكة الحبشة الأولى أكسوم، وشملت جانباً من أرتيريا التي سماها العرب بلاد البوغوص، حيث تمتد قبيلة تيجرى التي تسكن الطرف الشمالي من هضبة أرتيريا ، وكان لكل مقاطعة من تلك المقاطعات الاستقلال الذاتي – شأنها طوال تاريخ الحبشة - وكان ملك أكسوم يدعى ملك الملوك(1)، وكان لدولة أكسوم ميناؤها البحري (أدوما) الذي كانت له أهمية كبرى بين المراكز التجارية في شرقي أفريقيا، وقد قام بدور رئيسي في تجارة الترانسيت التي كانت تقوم بها مصر ، وأدى ذلك إلى دخولها في علاقات حضارية مع مصر الهللينية والرومانية فيما بعد، وفي النهاية إلى اعتناقها المسيحية في القرن الرابع الميلادي على المذهب المونوفيزي المصري(2).

واستمرت الأوضاع على تلك الصورة فترة طويلة من الزمن إلى أن اجتاحت قبائل البجه شمال الحبشة وامتدت من شواطئ النيل إلى البحر الأحمر، واستولت في طريقها على أرتيريا ، فانكشمت الدولة الأكسومية مما اضطرها إلى الامتداد إلى الجنوب حيث توجد قبائل الأجاو(3).

(1) غيث، فتحي، المرجع السابق ،ص 26 .

(2) Sik Endre, Op.Cit., p70

(3) الأحمد، أمحمد مصباح، المرجع السابق، ص 26 .

ومن بينها قبيلــة الزاجـوي، وهي نتاج اختلاط الحاميين الأوائل بالزنوج، والتي لم تكن قد اختلطت بالساميين بعد كما هو الحال عند القبائل الشمالية، ولذا حافظت علي عنصرها السامي أكثر من قبائل الشمال. والأجاو قبائل كثيرة المراسي لاقت من الحبشة العناء عندما اضطرت إلي الامتداد جنوباً في أراضيها، ولم يكن من السهل ترويضها ونشر المسيحية فيها وإخضاعها لحكم ملوك الحبشة، واستمرت بينها المنازعات حتى استولت إحدى قبائل الأجاو وهي قبيلة زاجوي على حكم الحبشة كلها لمدة قرنين من الزمن(1).

(2-جـ) الـبربــر:

يشكل الصوماليون والحضر والساهو ومجموعات أخرى ، سكان البربر الذين يقطنون ساحل البحر الأحمر شرق الحبشة.

أما سكان جنوب القرن الأفريقي فقد أطلق عليهم اسم الزنج ، ويتميز البربر بأنهم جنس متوسط بين الأحباش والزنوج وكان ابن سعيد المغربي أكثر تحديداً عندما فصل بينهم وبين الزنج عن طريق نهر مقديشو ورأى أن قاعدتهم مدينة بربرة عند مدخل باب المندب وأول مدنهم على المحيط الهندي هي قرمونة(2)

(1) Sik Endr e:Op. Cit., pp 71.76.

(2) ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 81 .

والبرابرة سكان بربرة هم الذين قال عنهم ابن حوقل "إن ألوانهم تقترب من ألوان العرب بين السواد والبياض"(1)، وتحدثت مصادر أخرى عن بربرة فقالت أنها جزيرة صغيرة وأشار إليها الدمشقي قائلاً "إن جزيرة بربرا معمورة بالسودان وهم مسلمون ومذاهبهم زيدية وشافعية"(2)، وأشار الهمداني إلى أن "جزيرة بربرا هي قاطعة من حد سواحل اليمن ملتحقة في البحر بعدن من نحو مطالع سهيل إلى ما شرق عنها"(3)، وقد أدى فقر الساحل الصومالي إلى اعتماد أهل بربرة في معيشتهم على أكل لحوم السلاحف البحرية والتي تسمى عندهم السبة كما ذكر الإدريسي(4).

أما نسابة البربر فيزعمون أنهم من العرب، مثل لوانة يقولون أنها من حمير، وهواره من كنيدة، وزناتة من العمالقة، ومنهم من قال إنهم من بقايا التبابعة، وكان منهم قبل الإسلام وبعده رؤساء وفضلاء وحكماء وأولياء أفاضل، ويقال أن أفريقشي بن متيس بن حيفى من ملوك التبابعة

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 60.
(2) الدمشقي، شمس الدين بن عبد الله: تحفة الدهر في عجائب البر والبحر، منشورات مكتبة المثنى، (العراق، بغداد) ب.ت، ص 162.
(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبد الله النجدي ، (القاهرة ، مطبعة سعادة) ، 1953.
(4) الأدريسي ، مصدر سابق ، ص 48 .

والذي ينتمي إلى قحطان بن حمير بن سبأ في اليمن(1). وكانت تقوم في بلاد البربر (بربرة) أسواق موسمية وتجارية في فصل الشتاء حيث يقصدها التجار من بلاد عديدة ، كما كانت تأتي إلى مدينة بربرة العديد من القوافل من مختلف المدن الأخرى المحيطة بها تحمل مختلف أنواع السلع حيث كانت تصدر من ميناء بربرة الماشية والجلود والبن وريش النعام والصمغ العربي وغير ذلك(2).

ويمكن القول أن اسم البربر يطلق على الصوماليين في بلاد القرن الأفريقي وكذلك يطلق على القبائل العربية التي تقطن المغرب العربي، ومدينة زيلع هي مدينة البربر ، وسكان البربر سود يشبهون الزنوج ويسكنون على طول الساحل الغربي للمحيط الهندي وألوانهم تقترب من ألوان العرب بين السواد والبياض ، وبلادهم أولها زيلع وآخرها مقديشو(3).

(1) عبد اللطيف، علي محمد: أفريقيا العربية، ط1، (ليبيا، مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية)، 1998،ص 148.

(2) سيرهنك، الميرلاي اسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، (القاهرة المطبعة الأميرية)، 1314هـ، ص 89.

(3) الحموي، ياقوت، المصدر السابق، ص 173.

(2-د) الزنـج :

الزنج هم أحد الفرعين الأساسيين للأجناس الثلاثة وهم: النيليون وقبائل البانتو والحاميون. والنيليون هم الذين يعيشون من النيل إلى الصومال، لكن أبناء القبائل السودانية هاجروا إلى الشرق واستقروا هناك(1). ومن مميزات هذه القبائل في الشمال الشرقي لأفريقيا عدم قبولهم المؤثرات الحضارية القادمة من الخارج، غير أن البعض منها مع مضي الوقت اضطر لقبول بعض المظاهر الحضارية للشعوب المجاورة لها، فقبائل البريا أخذت العديد من العادات المصرية القديمة، بينما قام الفونج قبل تأسيس دولتهم بتقبل العديد من العادات العربية، ولكن الحضارات الأخرى فرضت نفسها بين النيلين والقبائل السودانية في الحبشة، ومعظم القبائل السودانية التي تقيم في أطراف الحبشة اعتنقت الإسلام منذ القرون الوسطى نتيجة لجهود الدعاة الإسلاميين، أما بخصوص قبائل البانتو في شرقي أفريقيا فهم على اتصال بموجات الهجرات الحامية المتقدمة من الشمال الشرقي، وخلال عدة قرون كانت أقاليم هذه المنطقة هي الساحة التي شهدت تصارع قبائل البانتو مع الشعوب الحامية(2).

(1) ترمنجهام، سبنسر، الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي، مراجعة فؤاد محمد شبل، ط1،(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية) 1973، ص ص 12-18.
(2) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 40.

الفصل الثاني
عوامل وصول الإسلام وانتشاره في شرقي أفريقيا
424-656هـ / 1129-1258م

الفصل الثاني

عوامل وصول الإسلام وانتشاره في شرقي أفريقيا

تمهيـد:

كانت منطقة الشرق الأفريقي من المناطق المعروفة لدى عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، فكانوا يقصدونها لغرض الإقامة أو للتجارة حيث يتزودون بالمنتوجات الأفريقية المختلفة التي كانت تمثل سلعاً ذات قيمة تجارية مربحة ولا سيما لتجار البحر الأحمر والمحيط الهندي. ومع مرور الوقت وبزوغ فجر الإسلام في القرن السابع الميلادي وبعد قيام الدولة العربية الإسلامية، ونتيجة للظروف والتطورات التي دخلت فيها المنطقة وجدت بعض المجموعات العربية متنفساً لها في الهجرة إلى شرقي أفريقيا، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى قيام العديد من المدن والموانئ التجارية التي اكتسبت شهرة لدي سكان المناطق المطلة على المحيط الهندي والبحر الأحمر. فكانت كل هجرة عربية جديدة بداية لتأسيس مدينة أو قيام إمارة. لذلك يمكن القول إن الإسلام قد دخل مبكراً إلى الشرق الأفريقي،

بل جاء دخولـه منذ بدايات الدعوة الإسلامية. ولم تلبث هذه المنطقة بعد فترة لا تتجاوز بضعة عقود حتى تحولت إلى ممالك وإمارات إسلامية أخذت على عاتقها بالدرجة الأولى مهمة نشر الإسلام وتوطيده في تلك الأرجاء. وقدم لنا عدد من المؤرخين والرحالة معلومات مهمة في هذا الصدد من أمثال المسعودي وابن فاطمة وابن بطوطة، وغيرهم ممن زاروا المنطقة أو اطلعوا على أخبارها.

غير أن ما يحول دون استمرار التواصل الإسلامي، المتمثل بحركة التجار المسلمين للوصول إلى المنطقة بحرية، وجود مجموعات من القراصنة وقد عمد الخليفة عمر بن الخطاب (ا) إلى تجريد حملة بحرية للقضاء عليها، ولكنها لم تكلل بالنجاح، مما اضطر المسلمين سنة 83هـ إلى اتخاذ خطوة حاسمة لوضع حد لتلك المجموعات فجردوا حملة بحرية استطاعت أن تصل إلى الشاطئ الغربي واحتلت مجموعة من جزر دهلك المجاورة لميناء عدول (مصوع فيما بعد) الأمر الذي سهّل عليهم احتلال المراكز التجارية البحرية على الشاطئ الأفريقي وبذلك تم استئناف النشاط في نشر الإسلام تدريجياً في شرقي أفريقيا.

صلات العرب مع شرقي أفريقيا:

من المفيد أن نذكر، أن العرب قبل الإسلام بإمكانياتهم المتواضعة استطاعوا أن يركزوا وجودهم بأفريقيا حتى يومنا هذا، فكانوا يعّدون أنفسهم من أبناء المنطقة لكثرة ترددهم وتجارتهم المستمرة. وبعد الإسلام اتخذ نشاطهم مساراً آخر هو نشر الإسلام واللغة العربية في الوقت نفسه. لذلك فإن الاتصالات بين بلاد العرب عموماً وبلاد الشرق الأفريقي كانت مستمرة منذ أن خبر العرب فنون الملاحة وطرقها وأوقاتها المناسبة في البحر الأحمر والمحيط الهندي. وفى طريقهم للشرق الأفريقي أصبحت لهم معرفة واسعة بهذه البلاد حتى ألفوها كتجار ومقيمين، وتحولت إلى منطقة جذب كبرى لما احتوت عليه من خيرات وفيرة تمد تجارتهم بالسلع والمواد في عملية التبادل التجاري. ونجد هنا أن أقدم إشارة تاريخية إلي هذه العلاقات القائمة هي ما كتبه صاحب الدليل الملاحي حين ذكر أنّه على ساحل شرقي أفريقيا كان التجار العرب يشاهدون في كل مكان حتى رابتا بالقرب من زنجبار

وفي الصومال وما وراء هذه المنطقة، فقد كان يحكم بها أمراء عرب. كما أن زنجبار نفسها كانت خاضعة لسلطان عربي، ومهما يكن فإن العرب كانوا يألفون أهل البلاد ويتزاوجون معهم ويعرفون أهل الساحل ولغتهم"(1) .

ثم يمضي هذا الرحالة إلى مزيدٍ من التوضيح عندما يتحدث عن مدينة رابتا قائلاً "إن صاحب السيادة فيها رئيس من قبيلة معافر العربية وذلك بموجب حق قديم يجعل المدينة خاضعة لسيادة المملكة التي أصبحت الأولى في الجزيرة العربية (نحا Mouza)"(2).

وعلي الرغم من عدم ذكر المصادر المتوفرة لدينا لاسم هذا الرئيس المعافري ولكن جَرَى التأكيد على قبيلته اليمنية الشهيرة التي كانت مرابعها في اليمن بالقرب من مدينة تعز، وكان لهذه القبيلة تاريخ عريق قبل الإسلام حيث ورد اسمها في نقش سبئي عثر عليه في صرواح يتحدث عن تأسيس مملكة سبأ، وبعد الإسلام هاجر معظم أبناء هذه القبيلة إلى مصر والأندلس وأسهموا في نهضتيهما،

(1) المشري، محمد عمر: بلاد القرن الأفريقي، نصوص ووثائق من المصادر العربية، (الجماهيرية، طرابلس، وحدة الكتاب للنشر)1428م، ص 174.

(2) حسين، احمد الياس: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا، محاضرات الموسم الثقافي الأول، 1979-1980، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين)، 1989، ص 30.

كما أن عمرو بن العاص عهد إلى معافري بتخطيط مدينة الفسطاط(1). ومن الجدير بالذكر أن مقديشو هي أول مدينة في شرقي أفريقيا وصلها العرب من قوم تبّع الحميرى(2)، كما أن مدينة "سياسة" هي الأخرى استقر بها العرب وعمروها، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى كنية مدينة مكة المكرمة وقد جاء ذكرها بقول أحد الشعراء :

سياسة وهي كنية أم القرى   سموا بها أهل الحجاز مقاما(3)

وتؤكد وثيقة في "كتاب الزنوج" وجود العرب في سواحل أفريقيا الشرقية، وفحواها إنّه بعد هزيمة أبرهة الحبشي الأشرم انتقل "الحبوش" ومن ضمنهم العرب من حمير وقيس عيلان إلى شرق أفريقيا، وبعد ثمانين عاماً بقي مولدو العرب هناك. وبعد الإسلام وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ا) بدأ العرب المهاجرون ينتقلون من أرض الحبشة إلى أرض الجب(4).

(1) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، تصحيح وضبط أوسكار لوفغرين، طبع في مدينة ليدن بمطبعة ابريل، 1951، ص 99.
(2) جوليان، شارل: المرجع السابق، ص 62.
(3) المشرى، محمد عمر: المرجع السابق، ص 62.
(4) الجيرانى، عرب فقيه شهاب الدين أحمد بن عبد القادر: فتوح الحبشة، تحقيق رينيه با سيه، (باريس، د.ن)، 1885م، ص 102.

ويبدو أنه كلما توغل تجار العرب داخل الحبشة والمناطق المحيطة بها كلما صادفوا مزيداً من الخصب واعتدالاً فى المناخ مما حبذّ لهم الاستقرار في تلك الأنحاء. ولا تزال كثير من المواقع القريبة من "مصوع" تحمل أسماء عربية بما يؤيد تغلغل هؤلاء المهاجرين والتجار داخل الأراضي الأفريقية. وسرعان ما استقر هؤلاء المهاجرون واختلطوا بأهالي البلاد وأدخلوا إليها الأنظمة التي ألفوها في بلادهم في شئون المجتمع والسياسة وفى المظاهر الحضارية، وكان لهم على وجه الخصوص تأثير كبير في تطوير قوانين الملكية وتطبيقها وتهذيب أساليب العمارة وتنظيم عملية تربية الحيوان. ومنذ ذلك التاريخ أصبح العرب، وأغلبهم من اليمن ولا سيما حضرموت، جزء لا يتجزأ من بلاد الحبشة والصومال، كما لعبوا دوراً مهما في تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء إلى جانب الشعوب الحامية المتأثرة بالساميين(1).

ومن الجدير بالذكر أن الهجرات العربية المستمرة قد حدثت باتجاه السواحل الأفريقية الشرقية والى الحبشة والصومال وجنوب مصر والسودان، وذلك قبل ظهور الإسلام، وهى هجرات كانت تنساب عبر مضيق باب المندب بشكل أساسي، ونتيجة لتلك الهجرات امتزج الدم العربي بالدماء الأفريقية بحدوث التزاوج بين الطرفين وظهور جيل جديد يحمل الدم العربي ولون أبناء القارة السمراء(2).

(1) ابن المجاور: المصدر السابق، ص 103.
(2) جوليان، شارل اندريه: المرجع السابق، ص 78.

ومعروف أنه حتى وقت قريب كان الشريط الساحلي الأفريقي، وعلى طول البحـر الأحمر وخليج عـدن، على ارتباط وثيق بالسواحـل العربية المقابلة له إلى درجة أن الساحل وعلى الجبهتين كان وفي عدد من المرات تحكمه إدارة مركزية واحدة وكان مقرها في الغالب على الجانب العربي في مدينة عدن(1).

وكشفت الدراسات الأثرية الحديثة أن العرب الذين هاجروا إلى الحبشة وفي وقت مبكر يرجع إليهم الفضل الأكبر في تأسيس مملكة "أكسوم" في الحبشة، لذلك بلغ عمق التأثير العربي في ساحل أفريقية أن أطلق الإغريق ثم الرومان من بعدهم على كامل الساحل الشرقي لأفريقيا وحتى موزمبيق اسم ساحل "أزانيا" نسبة إلى إحدى الممالك العربية التي كانت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية وكانت عدن ميناءَها الرئيسي(2).

ولعل من بين أهم المصادر التاريخية المدونة كتاب "الطواف حول البحر الإريتري" لملاح إغريقي مجهول زار المنطقة في بداية النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وهو يؤكد علاقة العرب بسواحل شرقي أفريقيا (3).

(1) ابن المجاور: المصدر السابق، ص 99.
(2) David D. Latitin and Said Samater, Somalia, (London, 1940) p. 10.
(3) علي، جواد: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7 ص 301.

كما يزودنا الرحالة ابن بطوطة، الذي شهد المنطقة هو الآخر في القرن الثامن الهجري - الثالث عشر الميلادي، بوصف للإمارات العربية في الساحل الشرقي لأفريقيا مشيراً إلى أنه على كل مدينة أو قرية كان أميرً أو شيخً مسلمً(1).

ومن ناحية أخرى، مثلَّت بلاد الشرق الأفريقي، الممتدة من سواحل البحر الأحمر ومن "عيذاب" تحديداً إلى "سواكن" والى جزر "دهلك" ثم إلى نهاية بلاد الصومال على المحيط الهندي عند مدينة "كسمايو"، امتداداً طبيعياً لجزيرة العرب وذلك بحكم القرب الجغرافي الشديد بين المنطقتين، لذلك نلاحظ أن التطور التاريخي لشعوب بلاد الشرق الأفريقي قد تشكل عبر عملية تاريخية طويلة حتى إن هذه البلاد أصبحت قاعدة تجمع لمختلف العناصر الوافدة من آسيا عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي(2).

ومن اللافت للنظر أن استقرار القبائل العربية على الساحل الأفريقي قد حدث بهدوء دون اللجوء إلى القوة أو العنف، فالتاريخ لا يذكر لنا حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين. لذلك فقد بلغ التمازج الحضاري والعرقي العربي الأفريقي إلى حد أن كثيراً من القبائل والجماعات والعناصر الأفريقية ما زالت حتى الآن تحتفظ بنسبها إلى العرب وتمتلك وثائق تثبت ذلك،

(1)عبد اللطيف، على محمد: المرجع السابق، ص 66.
(2) المشرى، محمد عمر: المرجع السابق، ص 69.

وهي وثائق مكتوبة بالخط العربي الحساني، فيما أورد مؤلف كتاب "الإسلام في السودان" أن بعض المصادر كانت تعرّف جزيرة مدغشقر التي وصلها العرب قبل الإسلام باسم بلاد "المدى الأبعد" وقد غيّر الأوربيون اسمها فيما بعد إلى اسمها الحالي "مدغشقر". وبقيت تتوارثها الأجيال مما يؤكد امتزاج العرب بالقبائل الأفريقية. ومثال ذلك قوم "الأنيمّرون" في الجنوب الشرقي من جزيرة مدغشقر الذين كانوا ثمرة اختلاط بين العرب المهاجرين إلى تلك المنطقة وقبائل البلاد الأصليين(1).

ومن الجدير بالذكر أن الاتصال العربي بأفريقيا، قد تبلور في صورته الواضحة بفضل العناصر السامية المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة وهـؤلاء يمثلون أرقـى العناصر حضـارة وتمدناً، وهم الذين أسسوا "الدولة الاكسومية" بعد أن استقروا وتأثروا بالبيئة الحبشية وتفاعلوا مع العناصر الأفريقية والحامية. وكان هؤلاء الساميون يتكلمون بلغات ولهجات قريبة الشبه باللغة العربية وهي "لغة اليمن القديم" وأقدم لغة تكلموها هي لغة :الجعز" نسبة إلى قبيلة الاجاعز وهي أقدم من هاجر إلى الحبشة من القبائل اليمنية، وقد انتقلوا إلى الجانب الشمالي الشرقي من الحبشة،

(1) Holt N. , Amodern of Somal, p. 117.

وكانوا يزاولون التجارة حتى اتسع نفوذهم بحيث أصبحوا على رأس الطبقة الحاكمة. ومما ساعد على تفهم الإسلام وعقيدته ومبادئه فيما بعد أن الساميين استخدموا في أيامهم الأولى في الحبشة اللغة السبئية نطقاً وكتابة وذلك بواسطة "الخط المسند" الذي يقترب كثيراً من الخط العربي القديم(1).

ولما ظهر الإسلام أدت الهجرات الإسلامية إلى دواخل أفريقيا دوراً كبيراً ومهماً في نشر الإسلام هناك، وذلك منذ بداية الدعوة الإسلامية، ونتيجة لتعرض الرسول ﷺ وأصحابه إلى اضطهاد مشركي قريش. فقد أمر أصحابه من المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة. وهي أقرب البلدان المسيحية التي كانت ترتبط بتاريخ مشترك مع عرب الجزيرة، كما أنها أهون أمراً من اختراق الجزيرة شمالاً أو جنوباً عبر قبائل معادية(2). وهذه هي الهجرة الأولى، وقد تابع المسلمون الهجرة فيما يطلقون عليه "الهجرة الثانية"(3).

ولم يهاجر المسلمون من مكة إلى تلك الديار دفعة واحدة، بل إن فوجاً منهم هاجر من اليمن(4)، والظاهر أن الدفعة الأولى من المهاجرين كانت بمثابة بعثة لقبول المسلمين المهاجرين فيما بعد،

(1) Capans S.L.: Histoire de L' Afrique Noire, (Dakar, 1982) p. 160.

(2) كان عدد المهاجرين الأوائل فى الهجرة الأولى لا يزيد عن أحد عشـر رجلاً وفى مقدمتهم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ومعهم زوجاتهم.

(3) وكان فيها جعفر بن أبى طالب (رضي الله عنه) وكان عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً عدا زوجاتهم وأبنائهم.

(4) برئاسة أبى موسى الأشعري وقد قدر عددهم ببضع وخمسين رجلاً.

حيث أقام هؤلاء بالبلاط الاكسومي فترة قصيرة مما جعل النجاشي ملك الحبشة يرسل وفداً إلى الرسول (ﻫ) للتثبت من حقيقة هؤلاء المهاجرين(1)، ولما تأكد النجاشي من صحة الأخبار عن النبي محمد (ﻫ) أذن للمسلمين بالهجرة الحرة إلى بلاده، الأمر الذي جعل الرسول يأمر أصحابه ويخيرهم بالهجرة وذلك بعد أن اطمأن إلى حماية النجاشي لهم، فتدفقت الهجرات الإسلامية إلى تلك البلاد. ويمكن إيجاز بواعث الهجرة في عدة عوامل، لعل في مقدمتها ما كان يحمله المسلمون من أهداف في نشر الدين الذي يبشر بعصر جديد من الانعتاق من ربقة الشرك والوثنية، فضلاً عما تتيحه هجرتهم من الحرية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم واطمئنانهم إلى العيش بأمن وسلام، أما ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن الباعث الأساسي للهجرة هو العامل الاقتصادي الذي يتمثل بالتجارة واكتساب الرزق، فأمر تشوبهُ الشكوك ولا سيما في المراحل الأولى من ظهور الإسلام، أما في الفترات اللاحقة فإن التجار والمسافرين وأصحاب المصالح حملوا الأفكار الإسلامية بطريق مباشر وغير مباشر كما نوهنا سابقاً.

(1) ويقال إن الوفد أسلم على يد النبي (ﷺ) وهذا يعد أول تأثير مباشر لحركة الهجرة في نشر الإسلام.

إن الدوافع المادية لم تكن الشغل الشاغل لهؤلاء المهاجرين إذ لم تكن هجرتهم حرصاً على تجارة مهددة بالكساد أو من أجل أسواق جديدة، وبالتأكيد فإن حرصهم على عقيدتهم ومبادئهم وسعيهم لنشرها بالإقناع والاقتناع كان على رأس الأولويات التي يفكرون بها(1).

ثمَّ تعاقبت في عهد الخلفاء الراشدين الأحداث، وتمثلت في حروب الردة والفتنة والخلافات المذهبية التي يمكن أن نعزو إليها التدفقَ الجديدَ للهجرة إلى تلك البقاع، وعلى الرغم من أن الخليفة أبو بكر الصديق قد ردع المرتدين ووضح طريق الإسلام لهم من جديد فإن كثيراً منهم آثروا الهجرة إلى شرقي أفريقية والحبشة، ووصل البعض منهم إلى أقاليم السودان الأوسط. ولعل من بين القبائل التي هاجرت بعد هذه الأحداث قبيلة بني مخزوم إذ قام معظم أفرادها بالتحرك بقيادة أحد كبار رجالها وهو ودّ بن هشام المخزومي حيث استقروا بالحبشة وفى أخصب مناطقها وهي منطقة "شوا" وهنالك أتيح لهم أن يؤسسوا دولة بني مخزوم(2).

(1)ونستدل على ذلك مما دار بين ملك الحبشة النجاشي وجعفر بن أبى طالب في شأن السيد المسيح عليه السلام وبكاء النجاشـــي حتى ابتلت لحيته حينما ســمع آيات الكتاب الكريم، ويتضـــح ذلك جلياً في قوله تعالى : ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة:82 : 83]

(2) Rymondes, Etudes Surl, Islam en Afrique, (Paris, 1946), p. 70.

أما في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (ا) وما تلاهما، فقد كان نتيجة للفتنة وحروب الجمل وصفين وظهور الخوارج واضطهاد العلويين في عهد الدولتين الأموية والعباسية أن اضطرت الأطراف المغلوبة سياسياً وعسكرياً إلى الاندفاع وطلب الهجرة إلى مناطق الحبشة التي تعد بعيدة عن السلطة الأموية ومن ثم العباسية حيث تضخمت هذه الهجرة عقب موقعة الطف في كربلاء بين العلويين والجيوش الأموية، خوفاً من بطش بني أمية(1). ويبدو أن هجرة هؤلاء العلويين قد شجعت كثيراً من أهل الحجاز واليمن ودفعتهم إلى سلوك الطريق نفسه، حيث كانت هذه الجماعات تقصد الساحل بمدنه الآهلة بالسكان والمزدحمة بالقوافل التجارية أو أنها كانت تتجه إلى الشريط الصحراوي الذي يلي الساحل. ولما سقطت دولة بني أمية سنة 132 هـ فر كثير من أنصار الأمويين إلى شمال أفريقيا وشرقها(2).

وحتى عندما استطاع العباسيون القضاء علي بني أمية، بدأوا بقمع المعارضة العلوية والخوارج فوجد هؤلاء ملاذاً لهم في شرقي أفريقيا، وهناك مجموعات من الخوارج هاجرت عام 76هـ ونزلوا في منطقة "لامو"

(1) حسين، أحمد إلياس:المرجع السابق، ص 233.
(2) عبد المولى الحرير، الإسلام و أثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء، ص 106.

وقد أصبح عدد هؤلاء ما يقرب من عشرة آلاف مهاجر. وفي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة هاجرت مجموعات كبيرة من "الزيدية"* بسبب الخلافات التي حدثت بين العلويين أنفسهم واستقرت في المنطقة القريبة من "مقديشو"(1). وفي منتصف القرن الخامس الهجري وصلت هجرة أخرى أكبر من سابقاتها واستقرت إلى الجنوب منها(2)، ويرجع سبب ذلك إلى الهجوم الذي قام به المغول الذين تدفقوا من أواسط آسيا على بلاد فارس، مما أضطر حاكمها إلى الخروج على رأس ألف ومائتي رجل فركبوا البحر نحو ساحل الزنج وتمكنوا من فرض سيطرتهم على الساحل وهناك أسسوا مملكة الزنج التي أخضعت لسلطانها كثيراً من المراكز والجزر، ويمكن القول إن هذه الهجرة تعد الأخيرة من الهجرات التي قام بها مسلمون فرس(3).

أما في العصور الإسلامية المتأخرة، فقد استمر العرب المسلمون في أن يجدوا ضالتهم في المناطق التي هاجروا إليها للتجارة والربح وخصوصاً إلى سواحل الحبشة والصومال وذلك في ظروف معينة، فكانوا يجدون فرصاً كثيرة لكسب الرزق بالتجارة وسائر المهن البحرية المختلفة،

(*) طرف من الشيعة ينتسبون إلى زيد بن على بن الحسين بن علي بن أبى طالب الذي ثار في العراق ضد الخلافة الأموية زمن هشام بن عبد الملك.

(1) الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 173.

(2) جيان، شارل: المصدر السابق، ص ص 218-220.

(3) الحميمى، الحسن بن أحمد، سيرة الحبشة-حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر، (تحقيق مراد كامل القاهرة)، 1958، ص 3.

ولم تنقطع هذه الهجرات حتى الوقت الحاضر. وكانت طبيعة البحر الأحمر والقرن الأفريقي تساعد على الملاحة السهلة الميسرة طوال العام بين شاطئيه الشرقي والغربي، حيث قامت نتيجة ذلك علاقات بين ساحلي البحر والجزيرة العربية من جهة وبين البلاد الأفريقية الواقعة على الساحل الغربي من جهة أخرى، كما أن ظروف الجزيرة العربية قد دفعت أحياناً كثيراً من السكان للهجرة إلى تلك الديار. وكانت اليمن من أهم المراكز التجارية التي تنتقل منها عبر الجزيرة إلى الشام وأسواق العراق وفارس والهند.

ومن الجدير بالذكر أن طبيعة بلاد الحبشة هي التي رسمت اتجاهات تلك الهجرات فالمنطقة الشمالية حول مدينة عدول "مصوع حالياً" أو ما وراءَها من حواف الهضبة التي يطلق عليها الآن اسم "إريتريا" كانت اتجاه الهجرات الأولى، وكانت المنطقة الممتدة من شمال باب المندب إلى جنوب خليج عدن ومنطقة الحافة الشرقية للهضبة التي تلي هذه المنطقة ويطلق عليها منطقة "هرر" تمثل هدفاً آخر. أما المنطقة التي تشمل مقديشو الحالية والجزء الواقع جنوبها فقد أصبحت هي الأخرى محطة للمهاجرين العرب(1).

(1) ابن الجوزى: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، (تحقيق محمد بركات، الخرطوم – دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر) 1993، ص ص 71-72.

ومن هذه المناطق الثلاث بدأ التسرب للهضبة لأنها مناطق يمكن الخروج منها والوصول بيسر إلى أفريقيا الغربية أو الشرقية لتوفر المسالك والطرق، فالتجار لم يكونوا يقنعون بمنطقة الساحل الذي لا يعدو أن يكون مدخلاً أو مخرجاً لتجارتهم نحو الدواخل فالمهم لديهم أن يجدوا الأسواق المناسبة لتجارتهم. والمنطقة الأولى متصلة اتصالاً مباشراً بالهضبة غير أن وجود مملكة أكسوم فيما وراء هذه المنطقة من ناحية الجنوب الغربي كان يقف حائلاً دون هذا التوغل إذا رغبوا فيه ولكنه في الوقت نفسه لا يمنع أن يستمر فريق منهم في السير إلى الداخل ملتفاً حول أطراف الهضبة الشمالية حيث منطقة مملكة سنار الإسلامية التي لجأ إليها بعض المسلمين الذين انحدروا من مصر وافلحوا في القضاء على دولة النوبة وإقامة مملكة سنار التي أصبحت النواة لدولة الفونج السودانية(1). أما المنطقة الثانية فهي قريبة الاتصال بهضبة الحبشة من ناحية الشرق وصحراء الدناكل التي تفصل الساحل عن الهضبة. وهي منطقة ضيقة ولكن وادي نهر "أواش" يتيح لهم ممراً طبيعياً يقودهم إلى المنطقة الوسطى من الهضبة حيث إقليم البائي الخصيب.

(1) ابن سعد، أبو عبد الله محمد: الطبقات الكبرى،ط1،(بيروت، دار صادر للطباعة والنشر)1960،ص 203.

وكان من نتيجة تكرار هجرات العرب المسلمين إلى سواحل الصومال والحبشة أن حدث الاختلاط مع السكان الأصليين. وكان الزيديون قد تركزوا على سواحل الصومال، ثم وصلت إلى هناك هجرة أخرى وفدت من الشاطئ الغربي للخليج العربي، ومن غرب جزيرة البحرين تحديداً حيث جاء هؤلاء بسفن ثلاث بزعامة سبعة أخوة هاربين من اضطهاد أمير الإحساء لهم، وكانت أول مدينة أسسوها هي "مقديشو"، وذلك في منتصف القرن الثالث الهجري. وقد ارتفعت مكانة هذه المدينة فيما بعد وأصبحت مركزاً مهماً لعرب الساحل وظلت كذلك زهاء سبعين عاماً حتى أدى قدوم مهاجرين آخرين من الخليج العربي إلى إنشاء مركز آخر ينافسها إلى الجنوب منها هي مدينة "كلوة" التي أصبحت مركزاً مستقلاً هاماً، وقد تأقلم هؤلاء المهاجرون العرب في البيئة الصومالية، فعملوا على تغيير الكثير من المعالم هناك، إذ هدموا المعابد الوثنية وحولوها إلي مساجد وجوامع ودوراً للعبادة.

أما المهاجرون من حضرموت فقد استقروا في ثغر "بربرة" في الصومال واخذوا ينشطون في نشر الإسلام من خلال اتصالاتهم مع السكان. وقد تمكن أحد هؤلاء الدعاة المسلمين، وهو الشيخ إبراهيم أبو زرباي، من الوصول إلى دواخل الهضبة الحبشية واستطاع إقناع عدد كبير من الناس باعتناق الإسلام وتعميق مبادئه في نفوسهم.

لقد بقيت الهجرات العربية في تتابع مستمر إلى بلاد شرقي أفريقيا، وكانت كل هجرة عربية جديدة هي مقدمة لظهور إمارة أو تشييد مدينة جديدة علي طول الساحل الأفريقي، فيذكر ابن المجاور أنَّهِ " عندما تفرق بنو مجيد سكان المندرية إحدى مدن بلاد اليمن على أيدي الحجازيين الذين غلبوهم على بلادهم، تفرقوا ثلاث فرق، فرقة سكنت زيلع وأخرى سكنت ظفار وثالثة سكنت مقديشو"(1).

ومهما يكن من أمر فالإسلام لم يدخل شرقي أفريقية بالفتح والغزو وبحد السيف، بل كان للتسامح والعدل المتصلين بالبساطة والمنطق السليم أكبر الأثر في إقبال الناس علي اعتناقه، والتجارة كما أسلفنا لعبت هي أيضاً دوراً غير مباشر في انتشاره، فقد كان المسلمون أكثر احتكاكاً بالعناصر المختلفة من المسيحيين والوثنيين وهم الذين جابوا المناطق سعياً وراء التجارة. أما في جنوب القارة الأفريقية فقد انتشر الإسلام عن طريق جماعات مهاجرة من سكان الملايو وسيلان وشبه القارة الهندية في فترات متأخرة، حيث أسس هؤلاء المهاجرون مجموعة من الوكالات التجارية في ساحل شرقي أفريقيا مثل مقديشو وماليزي وممبسة وبما وزنجبار وموزمبيق(2).

(1) ابن المجاور: المصدر السابق، ص 99.
(2) جوليان، شارل أندريه: المصدر السابق، ص77.

وهكذا يمكن أن نخلص إلى القول أن الحضارة العربية الإسلامية وجدت طريقها إلى شرقي أفريقية بوسائل ثلاث، أولاها توفر الطرق والمسالك للقوافل والمسافرين إلى هذه المنطقة، فقد كانت هذه الطرق شرياناً للنشاط الاقتصادي بين مراكز الشرق الأفريقي ومراكز تركز الإسلام، فانتشرت المحطات على طولها عبر الصحراء الكبرى وأصبحت أماكن لاحتكاك الأفكار وتبادلها فضلاً عن أنها كانت مأوى للاستجمام وسبل الراحة.

أما الوسيلة الأخرى فهم التجار المسلمون الذين اخذوا يجمعون بين الدعوة إلى الإسلام والنشاط التجاري، وقد تحلوا بالصدق والأمانة والخلق الرفيع وهو صورة للأخلاق الإسلامية(1).

ولم يقتصر دور التجار المسلمين على بث الدعوة ومجالات التجارة والأنشطة الاقتصادية، بل تعداها إلى تعميق الصلات الثقافية، وذلك بنشر اللغة العربية وبناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

أما الوسيلة الثالثة فيمكن حصرها بالدعاة من الوطنيين الأفارقة وذلك بعد أن رسخ الإسلام في نفوسهم وتمكن من جمهور واسع منهم

(1) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية)، 1970، ص 391.

حتى أصبح الكثير من القرى في شرق أفريقية تضم كلَّ منها داراً لاستقبال هؤلاء المعلمين الفقهاء الذين كانوا يعاملون بأعظم مظاهر الاحترام(1)، ومعروف أن معظم أولئك الدعاة والمعلمين قد درسوا في المراكز الثقافية في الشمال الأفريقي وبلاد المغرب ومصر وتأهلوا للدعوة الإسلامية. والظاهر أن هؤلاء الدعاة والفقهاء والمحسنين قد دأبوا على تأسيس المدارس والخلوات التي أصبحت قبلة للمسلمين والوثنيين على حد سواء دون تمييز، وقد أدت دورها بنجاح بين أهالي شرقي أفريقيا وبدأت تتكاثر وتتعدد حتى أن بعضها أضحَى مركز إشعاع حضاري استقطب أبناء القارة، وكان له تأثير في تكوين حكومات ونظم إدارية متقدمة(2)، كما ترك تأثيره في انتقال حياة المجتمعات القبلية المتفككة إلي مجتمع المدنية والدولة المركزية مما جعل هناك امتزاجاً ملموساً بين النظم العربية الإسلامية وبين الأنماط الأفريقية المحلية وتكوين عناصر جديدة توائم بين ما غرسه الإسلام من مبادئ ومثل إسلامية وثقافة عربية وبين بعض الموروث من التقاليد والأنماط الأفريقية حيث برزت الشخصية الأفريقية في إطار إسلامي.

(1) حسن، حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية،ط2(القاهرة، مكتبة النهضة المصرية)، 1964، ص 213.

(2) قاسم، جمال زكريا، الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية-العلاقات العربية الأفريقية (القاهرة – المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة)، 1977، ص 40.

الفصل الثالث
المظاهر الحضارية العربية الإسلاميةفي شرقي أفريقيا
424-656هـ / 1129-1258م

الفصل الثالث |

المظاهر الحضارية العربية الإسلامية في شرقي أفريقيا

تمهيـد:

أدى استقرار العرب المسلمين في الساحل الشرقي لأفريقيا إلى نشر عقيدة الإسلام والثقافة العربية بطواعية ودون إكراه. ولم تذكر المصادر أية حوادث تشير إلى اضطهاد الأفارقة بسبب العقيدة الدينية، كما لم تشهد هذه المنطقة أي مظهر من مظاهر العنف والتسلط والإرغام، لذلك فإن العلاقات بين العرب والأفارقة قامت على أساس الفهم الصحيح، مما نتج عنها تمازج وتعايش خلّف تأثيرات ثقافية واجتماعية في إطار الإسلام ومبادئه. ونظراً لقرب الساحل الشرقي لأفريقيا من جنوب الجزيرة العربية وحضرموت وعمان والحجاز فقد أعان نخبة من العلماء، سواء كانوا من العناصر العربية الوافدة أو من العناصر الإفريقية المستعربة المسلمة ممن درسوا في الحجاز ومصر وحضرموت واليمن، على ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر التعريب، الأمر الذي أتاح للأفارقة حفظ القرآن الكريم والإلمام بالشريعة.

ترتب على انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ظهور مجتمع جديد يقوم على التقاليد الإسلامية والعادات الإفريقية المحلية حيث تمسك الأفارقة بما يدعو إليه الإسلام من الأمانة والصدق والعدل وجميع المعايير والمبادئ التي تضمنها الإسلام فضلاً عن أدائهم للفرائض والشعائر الإسلامية ومنها فريضة الحج التي وفّرت فرصة اللقاء بينهم وبين أخوتهم من المسلمين من أقطار وبلدان أخرى مما يرسخ العقيدة لديهم، حتى لقد أشار المستشرق "ترمنجهام" إلى أن هناك شعوراً بأنَّ الإسلام أصبح ديانة الأفارقة جميعاً(1)، كما أن التأثيـر الديني في حياة سكان الساحل الشرقي لأفريقيا كان واضح المعالم حتى إنه أمتد إلى تراثهم الشعبي وأدبهم السواحيلي وأصبحت الأشعار والقصص المتداولة إحدى الوسائل التي تحث عامة المسلمين على التمسك بالواجبات الأساسية لعقيدتهم الإسلامية، كما تغيرت المفاهيم الوثنية التي كانت سائدة في مناطق الساحل الأفريقي الشرقي فبدلاً من خّضوع الفرد للوثن بتقديمه القرابين والنذور واستخدام ضروب من السحر والشعوذة في معتقداته، أصبح هذا الفرد في إطار الإسلام متمسكاً بروح العقيدة الإسلامية وملتزماً بما جاءت به من قيم وأفكار فاتجه الناس إلى قراءة القرآن وحفظه والإلمام بمبادئ الشريعة الإسلامية واللغة العربية.

(1) ترمنجهام سبنسر، الإسلام في شرقي أفريقيا، ترجمة عاطف النواوى، مراجعة فؤاد محمد شبل (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)، 1973، ص 301.

ومن الجدير بالذكر أن مناطق ساحل أفريقية الشرقية قد شهدت ازدهاراً وانتشاراً للإسلام وذلك بصورة جماعية حين أسهم العلماء وشيوخ الطرق الصوفية وأدوا دوراً بارزاً في هذا المجال، وكان لجهودهم الفردية والجماعية والالتفاف حولهم أثر في نقل الاتجاهات المذهبية إلى المجتمعات الإفريقية التي احتكوا بها، ولعل من أوسع هذه المذاهب انتشاراً المذهب الشافعي إذا ما قورن بالمذهب الحنبلي، أما الحنفية فكان أكثرهم من الهنود، كما زاد عدد أتباع الطرق الصوفية وعلى الأخص القادرية والتيجانية والشاذلية ولا سيما بين المشتغلين بالنشاط التجاري. ولا بد أن إتباع هذه الطرق من التجار والمعلمين الدعاة كان لهم كبير الأثر في تاريخ البلاد الفكري الحضاري، فقد اختلطوا مع السكان المحليين وتصاهروا معهم كما أبدوا تسامحاً مع المسيحيين والمعتقدات الأخرى. وقد انتهجوا وسائلهم الخاصة في عملية نشر الإسلام بصورة سلمية وإقناعية، فأسسوا المساجد والمدارس التي كان يتردد عليها الناس كما نشطوا في شراء الرقيق وعتقهم وإعادتهم إلى أوطانهم وبلدانهم التي جلبوا منها ودعوا إلي نبذ التفرقة العنصرية والدعوة إلى المثل العليا(1).

(1) ترمنجهام سبنسر، المصدر السابق، ص 37.

مراكز الدعوة الإسلامية:

إن مراكز الدعوة الإسلامية التي كان يتخذها الدعاة أماكن تنبعث منها الدعوة إلى الإسلام هي المسجد والزاوية والرباط.

أ- المسجد :

وقد اتخذه الدعاة مكاناً للوعظ والإرشاد ومنتدى للاستفسار عن كثير من المسائل الدينية وإيضاحها على أيديهم فضلاً عن أن المسجد كان مكاناً للعبادة وإقامة الشعائر على أيدي الدعاة والمعلمين، ومن أهم المساجد العتيقة، في جنوب جزيرة زنجبار، ويقال أنه شُيد في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي(1). كما خصص مسجدان للنساء بجزيرة زنجبار. أما في المدن الشيرازية القديمة مثل سيبو فيسمح للنساء بالعبادة بحجبهن عن الرجال بستار يقسم المسجد في آخره أو وسطه(2). وكان البناء قليل الزينة كما كان بعضها يدخل تحت إدارة الأوقاف، ومرتبات أئمتها وإصلاحاتها ونفقاتها تدفع من حساب الوقف، أما غالبية المساجد الصغرى

---

(1) زكى، عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا، ط1 (القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية)، 1965، ص 128.

(2) ترمنجهام سبنسر، المصدر السابق، ص 38.

فكانت تقع على عاتق الحي أو المقاطعة وكان العاملون بالمسجد لا يزيد عددهم على اثنين "الإمام" وهو المسئول عن الواجبات الدينية "والمؤذن" الذي عليه إلى جانب ذلك بعض المتطلبات الأخرى مثل حفظ المسجد وأثاثه وتنظيفه، وقد كان بعض العمال يلحقون بالمساجد الكبرى للقيام بتلك الواجبات تحت إشراف المؤذن، وموظفو المساجد العادية هم موظفون شرفيون، ولكن طلب الالتحاق لتلك الوظائف كان مرغوباً.

ب- الزاوية:

وتعد الزاوية مكاناً للتعبد وحلقات الدراسة في العلوم الدينية وما يتصل بالمعرفة والعلوم النقلية والعقلية فضلاً عن أنها مقر لإحدى الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والشاذلية لممارسة شعائرهم(1).

ج ـ الرباط:

لا يقل أهمية عن المسجد في كونه مكاناً تشع منه الدعوة إلى الإسلام ويمتاز الرباط بطابعه العسكري إضافة إلى وظائفه الدينية من العبادة وتلاوة القرآن والتفقه الديني(2).

(1) ترمنجهامسبنسر، المصدر السابق، ص 158.
(2) حسن، إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى غربي القارة الأفريقية وشرقها، ط2(القاهرة، معهد الدراسات العربية، 1957)، ص 38.

إن العامل الأهم الذي ساعد في انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا يعود في الحقيقة إلى الدين الإسلامي نفسه فهو ذو نظام اجتماعي راق يدعو إلى المساواة بين الناس ولا يقيم وزناً لفوارق اللون أو الطبقة، وإنما الفارق من خلال ما يفعله العبد من أعمال صالحة، لذلك فإن الدين الإسلامي كثيراً ما يوصف بأنه أكثر الأديان تسامحاً، ومنذ اكتمال مرحلة التعريب وسيادة الدين الإسلامي في مناطق شرقي أفريقيا في القرن السادس الهجري-الثاني عشر الميلادي، بدأت القبائل العربية تتوغل نحو الشرق، ولم تقف عائقاً دون تواصل الروابط والصلات المتعددة فقد كانت طرق ما وراء الصحراء ومسالكها ومنافذها من العوامل الهامة التي ساعدت في تدفق المؤثرات العربية الإسلامية إلى مناطق شرقي أفريقيا، وبدت رقعة الإسلام في حالة انتشار مستمر، ونجم عن هذا المد القادم من الشمال قيام ممالك أفريقية إسلامية بلغت تقدماً حضارياً ملحوظاً نتيجة اعتناقهم الإسلام(1).

(1) قاسم، جمال زكريا، المرجع السابق، ص 156.

مسار المؤثرات الحضارية في شرقي أفريقيا :

لقد كان مسار المؤثرات الحضارية في أفريقيا قد تركز في اتجاه يبدأ من الشمال إلى الجنوب وعبر الصحراء إلى بلاد السودان، كما ظهر ازدهار مراكز حضارية في الواحات الكثيرة في الصحراء الكبرى، غير أنه بإخضاع الشمال الأفريقي للحكم العربي قد فتحت مسارات جديدة لنشر الحضارة تبدأ من الغرب إلى الشرق أي من أقاصي المغرب إلي بلاد السودان وباتجاه الشرق دائماً.

وقد خضعت المنطقة السودانية لمؤثرات بشرية وثقافية واقتصادية واحدة وقلما وجدت مؤثرات بشرية تخطت حدود السودان ووادي النيل متجهة نحو الغرب لتفصل فعلها البشري والحضاري، وكانت مراكزها الحضارية هي التي رفعت راية العروبة والإسلام وخصوصاً في شعوب السودان التي تبنت الدعوة الإسلامية وأصبح لها الدور البارز في تاريخ الإسلام في القارة الأفريقية في تركيز الإسلام(1).

(1) شلبي، أحمد ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط1، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)، 1980، ص ص 102-103.

وقد علق كوبلاند Coupland على ازدهار الحضارة العربية في شرقي أفريقيا بقوله "إننا يجب أن لا نندهش لما يذكره هؤلاء من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب إلى مشرقي أفريقيا، لأن العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة فلا شك أن مدارس بغداد والقاهرة وتونس حتى القرن السابع الهجري-الثالث عشر الميلادي تفوق تلك التي في أكسفورد أو أية مدينة أوروبية أخرى(1).

الإسلام وتجارة الرق :

كانت تجارة الرق شائعة في شرقي أفريقيا منذ وقت طويل، وكانت هذه التجارة التي تنافي المعايير الإنسانية وتحث على الاستغلال البشع من الإنسان لأخيه الإنسان من المصادر الإقتصادية الهامة في حياة المجتمعات الأفريقية قبل اتصالهم بالعرب(2).

ويلاحظ أن زعماء القبائل الأفريقية ساعدوا في جلب أفراد القبائل المهزومة لبيعهم في المراكز التجارية لساحل شرقي أفريقيا والتي كان يفد إليها إلى جانب العرب الهنود والفرس والأوربيون الذين شاركوا بصورة واضحة في ازدهار هذا النوع من التجارة،

(1) Reginald, Coupland , East Africa and Its Invaders (From the Earlist to the death of Sayyid Said in 1856), Oxford, 1938, p 38.

(2) دو نالد، وايديز، تاريخ أفريقيا جنوب الصــــحراء، ترجمة: علي أحمد فخري، شـــوقي عطا الله الجمل، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب)، 1971، ج1، ص 46.

وبظهور الإسلام وازدياد اتصال العناصر العربية المسلمة بساحل شرقي أفريقيا وما تبع ذلك من نشر للإسلام وثقافته العربية، حدث تغيير واضح لمفهوم تجارة الرق عند العرب والمسلمين، والمعروف أن الإسلام لم يقر الرق في صورته المطلقة الدائمة، وإنما أقره في صورة تؤدي إلى القضاء عليه تدريجياً دون أن يحدث في ذلك أثر يسئ إلى نظام المجتمع، بل دون أن يشعر أحد.

*** المفاهيم الأفريقية (تقاليد وأعراف) :**

لقد ترك انسياب الإسلام إلى شرقي أفريقيا تأثيراً حضارياً بعد أن قامت هناك دول ذات شأن تمثل في توحيد المشاعر والمصير بينها وبين جيرانها من العرب المسلمين ويمكن توضيح ذلك في النواحي التالية:

أولاً : نظام الحكم:

لقد مر شرقي أفريقيا بمرحلة انتقال حدث بعدها التقاء الحضارة الإسلامية بالتقاليد المحلية وحدث التوافق بين ما هو وافد وما هو محلي، وتم القضاء على ما يخالف الإسلام من التقاليد المحلية واختلطت قواعد الإسلام بالتقاليد الأخرى فعدلتها حتى تتمشى مع الفكر الإسلامي، وأعطَى الإسلام في تشريعاته هذه الفرصة من الوفاق والامتزاج الحضاري وترتب على ذلك ظهور تقاليد أفريقيا الإسلامية في شكلها وطابعها، وروحها(1). وكتب عن ذلك عدة مؤرخين، عن نظام الحكم وبعض أوجه الحياة الاجتماعية التي اكتسبت الصيغة الإسلامية، وهذا شأن الإسلام عندما يحل بأي بلد فهو يترك من النظام والتقاليد مالا يتنافى مع ممارسات الإسلام أو روحه. وقد كان انتشار الحضارة الإسلامية في شرقي أفريقيا سهلاً وميسوراً فقدم المسلمون الدين لطالبيه وعلموا الناس شعائر هذا الدين ونظمه: فقد عرف الأفريقيون من الحكم قاعدة الشورى(2)

(1) القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5-8، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)، 1963

(2) الأحمد، أمحمد مصباح، المرجع السابق، ص ص 211-212.

ونظام البيعة الذي اشتهر عند المسلمين وعرف الأفارقة من الاقتصاد حق الفقير في مال الغني ونظام بيت المال ورد الأمانات إلى أهلها، وعرفوا من الأداءات الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزموا بترك المُحرمات وأداء الصلوات. ولقد تمثلت في حياة الملوك والرعية مظاهر إسلامية صرفة وعربية خالصة وسيادة المتبع لمذهب مالك الذي يوصف بالتزمت والشدة والتمسك بالدين وتمسك الفقهاء بالتقاليد وعزوفهم عن مصاحبة السلطان وتولي الوظائف، وكذلك تغلغلهم في صميم الحياة وتمتعهم بالزعامة الدينية الشعبية، ولقد قدر السلاطين الفقهاء واحترموهم وزاروهم في بيوتهم واستفتوهم واعتبروا بأمرهم ولقد عرف أن من يلتجئ إلي المسجد أو بيت الفقيه آمن من العقاب ولن يستطيع أحد أن يناله بسوء(1). وهذا يدل على احترام الإسلام. ومن الجدير بالملاحظة، أن الشريعة الإسلامية قد تغلغلت شيئاً فشيئاً في المجتمع القبلي بفضل الأحكام الشرعية التي كان يصدرها رجال القضاء الإسلامي في تلك البلاد.

كما انتشرت مع الإسلام بشرقي أفريقيا أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف الشئون، الاجتماعية والاقتصادية.

---

(1) المرجع نفسه، ص ص 211-212.

*** التقاليد والعادات الدينية في ساحل أفريقيا الشرقي :**

الاحتفال بشهر رمضان :

يشكل الاحتفال بشهر رمضان صورة عميقة في التمسك بالشعائر الإسلامية في الساحل الشرقي الأفريقي، إذ يأخذ الاحتفال بشهر رمضان طابعاً إسلامياً من حيث انتظار رؤية الهلال، وامتلاء المساجد بالمصلين، حيث تقام الحلقات الدراسية لتلاوة آيات القرآن الكريم وشرحها ثم تؤدَّى صلاة التراويح، وبعد ذلك تبدأ الزيارات الأسرية. ومن العادات المكتسبة أن يجتمع أهل الحي الواحد أو كل عدة أسر في مكان مخصص لتناول الإفطار. ويكثر المسلمون من تناول شراب "المدافا" المصنوع من جوز الهند في شهر رمضان(1).

الاحتفالات الدينية الخاصة : يقوم سكان ساحل شرقي أفريقيا بالمناسبات الدينية في كل يوم خميس، حيث تجتمع الجدة أو أحد أفراد الأسرة من كبار السن مع الأطفال ويبدأون بقراءة القرآن الكريم التي تتخللها المدائح والأناشيد الدينية في مدح الرسول (ص) ويتولى الإنشاد أكبر الأطفال سناً، ويردد بقية الأطفال ما يقوله المنشد وتقوم الجدة بالتصحيح في حالة الخطأ والإشراف والمتابعة، والهدف من المناسبة الدينية هو تعليم الأطفال التعاليم الإسلامية، وكذلك غرس حب الرسول في قلوبهم وتعويدهم على قراءة القرآن الكريم(2).

(1) حسن، حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 38.
(2) الغيث، حمامة خلقان، التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير غير منشورة في الدراسات الأفريقية،(القاهرة، كلية الآداب، معهد الدراسات الأفريقية)، 1988، ص 170.

تهذيب العادات والتقاليد الأفريقية بالتأثير العربي الإسلامي:

والمعروف أن التأثير العربي الإسلامي قد هذب عادات المجتمعات الأفريقية وتقاليدهم الدينية في ساحل أفريقيا الشرقي وكانت عدة معتقدات دينية وثنية سائدة في تلك البقاع وكان الناس يعتقدون بالجن والأرواح الشريرة التي تسكن أجساد البشر وتسبب الأمراض ويستخدمون علاجاً لها وذلك لحمايتهم، وعلى الرغم من أن الإسلام قد حارب البدع والشعوذة، فإن كثيراً من المعتقدات الأفريقية البالية ظلت تمارس في الأوساط الشعبية ومن ذلك:

الحرز : وهو تعليق تميمة(*) للطفل الصغير أو تلطيخ وجهه وملابسه بالفحم لتفادي نظرة الحاسد له.

(*) التميمة خرزة أو كتابة لبعض الطلاسم وذلك لطرد الأرواح الشريرة وأيضاً للحسد، هذا قبل الإسلام اما بعد انتشار الإسلام فهو كتابة لبعض الآيات القرآنية وتغليفها بقطعة من الجلد وتعليقها على صدر الطفل.

الزار : ويقام الزار بحفل خاص للرجال أو النساء ويستخدم فيه البخور ويغنون فيه على دقات الدفوف أغاني غير مفهومة وأكثرها طلاسم وأسماء سحرية لاعتقادهم أن ذلك سيطرد الأرواح الشريرة من جسد المريض، ولكن المؤثرات العربية الإسلامية امتزجت بمؤثرات أفريقية ولجأ بعض المسلمين إلى الاستعانة بالقرآن الكريم في معالجة أمراضهم النفسية وعادة ما تتلي الآيات القرآنية الكريمة مثل "آية الكرسي" و "المعوذتين" على رأس المريض وذلك طلباً للشفاء أو كتابة بعض من الآيات القرآنية الكريمة على أبواب المساكن حماية من الحسد ومن الشرور(1).

مفاهيم أفريقية :

أصبح حب تربية المواشي هاجساً نفسياً يسيطر على كل سكان شرقي أفريقيا، فكلهم يترفّعون عن الزراعة، وكذلك محترفو الحدادة، ولكنهم يعتمدون الصيد غالباً هواية يمارسونها. والعناية بالأبقار مهمة الرجال وحدهم، ومالك القطيع يعرف كل واحد وواحدة فيه، وكثيراً ما يقضى ساعات في تسويته أو لينظّم له عقداً أو ليحتفي بميزاته في أغنية مديح. وسكان شرقي أفريقيا يشربون الحليب خالصاً أو مشوباً ببول القطعان

(1) الغيث، حمامة خلقان، المرجع السابق، ص 170.

وأحياناً يشربون الدم النازف من جرح أحدث في عنق الحيوان بإراشة سهم عن مسافة قصيرة، ولكنهم لا يقتلون البهائم إلا في حالة تقديم أضاح، لأن مجرد التفكير بقتل حيوان لأكل لحمه أمر مرفوض فهو ارتكاب جرم خطير(1)، أما السمن فتعده النساء ولا يستعمل إلا كمادة للتطرية، وأما اللباس فأكثر الرجال يفضلون العري، والنساء يلبسن تنانير من جلد مطرزة بزمرّدات ويُضفن إليها، استزادة للزينة، أساور للزنود ودمالج للمعاصم وأقراطاً للأذن مصنوعة من مزيج معدني يغلب عليه النحاس، وكذلك يغلب عليهن التحلّي بعقود تتدلّى إلى الصدور، ومن حيث المأوى فمساكنهم ذات جدران من الخص وسقوف من الهشيم، وتغلب علي شكلها الاستدارة(2).

وعندما مارسوا الزراعة، بعد التأثيرات التي تركها العرب المسلمون فيهم، صاروا يتبعون الأساليب الزراعية المعروفة في سائر البلاد الأفريقية، فالرجال يمهدون التربة، والنساء تعشب الأرض وتزرعها، ولكن الحصاد مشترك، أما الحبوب فتحفظ في سلال ضخمة تحزمها جدائل نباتية أو سرائد من معدن أو في أبنية صغيرة ترتكز على أعمدة، والمساكن تقوم في وسط الأراضي الزراعية.

(1) بولم، دنيز ، الحضارات الأفريقية، ترجمة نسيم نصر، ط2 (بيروت، دار منشورات عويدات)، 1978، ص ص 122-123.
(2)المصدر نفسه، ص ص 124-125.

وفي كل هذه المنطقة تُعتبر الماشية ملكاً للرؤساء والماعز ملكاً للمزارعين، ومن هذه الممتلكات يقدم الزوج مهراً لأهل الزوجة لكي يصبح القران قانونياً والأولاد شرعيين، وهكذا يصبح تعدد الزوجات شارة غنى، فعددهن يحدده عدد الحيوانات التي يستطيع الزوج تقديمها، وعلى العكس فإن قلة الموارد في حالات قصوى تجبر أخوين على المشاركة في زوجة واحدة، ولذا فإن ولادة الابنة تستقبل بصورة أفضل من استقبال الابن، لأن الابنة بالنسبة للأب هي زيادة على قطعانه، ورئيس القبيلة لا يراقب ما يجرى على أرضه ولكنه شديد التدقيق في إحصاء قطعانه لمعرفة الزيادة والنقصان(1).

وملك هذه البلاد سلطان مطلق، يليه في السلطة أقرباؤه فمنهم الوزراء وحكام الولايات، وبفقدان نظام الوراثة في الحكم تستبد الفوضى بالبلاد حتى يلي الملك الجديد، أما أسباب الفوضى فهكذا غالباً، عند موت الملك ينشأ الخلاف ثم القتال بين أبنائه، فمن يقتل منهم يقتل أو يحجر عليه في مكان ما، وأما الملكة التي هي أخت الملك بالدم، أي أخته لأبيه، فإنها تستمر موضع احترام عميق، وكذلك الملكة الأم التي تبقي دائماً إلى جانب الملكة

(1) المصدر نفسه، ص ص 126-127.

فإنها أيضاً تحاط باحترام عظيم ولكل منهما مقر خاص وصلاحيات هامة تمارسها، ولا سيما في الشئون الإدارية، ويحيطون الملك بتقاليد تمنع عنه الاتصال بالرجال البسطاء لأن في ذلك خطراً عليه، وفي نطاق المقام الملكي تبقى نار روث البقر مشتعلة دون انقطاع، فهي نار حياة الملك، والمحارب الذي يمسح برمادها يستعيد قواه، وعند وفاة الملك تُطفأ النار القديمة، لتوزع على مرءوسيه من الحكام شهب من نار جديدة أشعلت بالاحتكاك وقبول النار الجديدة أعتراف بسيادة مرسلها(1).

ممالك قبلية أفريقية:

ومن أبرز هذه الممالك مملكة "المونوموتابا" التي كانت تعيش على نقل ما لديها من ذهب في مناطق جنوب شرقي أفريقيا إلى العرب وقوافلهم التجارية، وتقديم ما لديها من منتجات أفريقية أهمها العاج وسن الفيل وريش النعام، فضلاً عن الذهب، بينما كان العرب ينقلون تجارتهم المتمثلة في الملابس والمنسوجات والأسلحة والسلع الحضارية والصناعية المختلفة، لا سيما من خلال عصر المماليك في مصر حيث ظهرت التجارة المثلثة بين مصر وشرقي أفريقيا والهنـد. وهي التجارة التي ترتب عليها أن صارت كل الملابس تحمل اسم المصري لدى الأفارقة كما صارت الكلمة العربية "مثقال" تشير إلى العملة والمال في موزمبيق حتى اليوم،

(1)بولم، دنيز ، المصدر السابق، ص ص 128-129.

هذا من ناحية التجارة والمال في قلب القارة، أما الساحل الشرقي فقد صارت اللغة العربية في منزلة كبيرة حتى حكمت الحياة الثقافية في المنطقة، لا سيما في مدن: كلوة وممبسة وباتا وزنجبار فضلاً عن مقديشو وبراوة وغيرها، وقد شهدت هذه المدن وجود أسر عربية حاكمة، تزاوجت مع الأفارقة حتى ظهر نتيجة لذلك العنصر السواحلي المتولد من زيجات عربية أفريقية وصارت لغته السواحيلية تضم كماً كبيراً من المفردات العربية، كما كانت علامة علي الانصهار العربي الأفريقي وعلي عمق الصلات الاجتماعية بين الفريقين(1).

مساعي القضاء على الهوية العربية الإسلامية في شرقي أفريقيا:

الحقيقة أن المساعي الاستعمارية للقضاء على الهوية العربية الإسلامية في أفريقيا تتكرر ليس فقط في أقطار غرب أفريقيا بل نراها أيضاً في شرق ووسط أفريقيا، ففي إطار جهود الدول الأوروبية، وخصوصاً في مطلع القرن العاشر الهجري، لغرض الاندماج القسري في كتل سكانية أريقت الدماء وأزهقت أرواح عشرات الألوف، وغالباً ما كانت الهوية العربية الإسلامية مستهدفة ابتداء من زنجبار إلى أوغندا ومن نيجيريا إلى تشاد

(1) فليفل، الســـيد ، الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصـــحراء الكبرى،بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية، (ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية)، 1998، ص 75.

ومن غانا إلى موريتانيا، "إن المدخل الأساسي لتفهم الأصول التاريخية لهذه المشكلات وخاصة في شرقي أفريقيا هو تتبع انتشار الإسلام والعروبة في هذه الأجزاء والذي يمكن أن نرصد فيه سمتين مميزتين :

الأولي : إن هذا الانتشار لم يخضع لتخطيط سلطة دولة إسلامية قوية سواء من الدول التي ظهرت في دواخل أفريقيا أو التي عاشت في الأجزاء المعربة منها.

الثانية : إن انتشار الإسلام والتعريب كان رهناً إلى حد بعيد ببعض الهجرات العربية التي لم يتعد تأثيرها في شرق ووسط أفريقيا للسواحل المطلة على البحر الأحمر أو المحيط الهندي(1). ونشاط التجار العرب في عمق أفريقيا حيث أحيا هؤلاء العرب التجارة وتبادلها فوصلوا إلى ما هو معروف اليوم بزيمبابوي، كما عمل العرب على استغلال بعض المناجم الأفريقية خاصة في إقليم زمبابوان حيث عثر على مقابر عربية ترجع إلى القرن الأول الهجري، ورغم أن هؤلاء العرب من التجار قد أقاموا مدناً وممالك إلا أنها لم تعمر بعد القرن التاسع عشر الذي أمضته في صراع مرير ضد التدخل الأوروبي في محاولته للسيطرة على التجارة وعلى الدين واللغة ولم تكن هذه الجماعات الإسلامية العربية قد استطاعت أن تؤمن وجودها وحياتها بالعمل جنباً إلى جنب فيما بينها، كما أنها لم تكن تتسلح بما يجب لمواجهة القوى المعادية لها.

(1) الضـاوي، أحمد السـيد، محددات التعريب في أفريقيا، بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية (ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية)، 1989، ص 26.

وعلي أية حال فقد حسمت الهجرات العربية والصلات الدائمة فيما بين الأراضي المطلة على البحر الأحمر هوية السواحل الشرقية لأفريقيا، فعلى الرغم من تدخلات القوى المعادية لبلد مثل الصومال وجيبوتي التي تعايشت لغاتهما مع اللغة العربية، على أساس أن العربية لغة الدين والعلم والثقافة والصومالية لأغراض الحياة العامة، وإن كان الإلمام بالعربية لا يقتصر على المتعلمين في المدارس وحدهم، فالتحدث بها وفهمها يشمل قطاعات كبيرة من المجتمع في الصومال وجيبوتي ويرجع الفضل في ذلك إلى أن أغلبية الأطفال يرسلون إلى الكُتاب(1)، الذي يعرف بالدكس في الصومال والمعلمة في جيبوتي، حتى قبل سن المدرسة الابتدائية حيث يتعلمون الحروف ويحفظون سوراً من القرآن، وإلى الممارسات المحلية في إقامة التجمعات والاحتفالات الدينية التي يتغنى فيها بالأناشيد وكثير منها باللغة العربية(2).

(1)الضاوي، أحمد السيد، لمرجع نفسه، ص 27.
(2) يوسف، حسن أحمد، التعريب في الأقطار العربية ذات الأوضاع الخاصة، مجلة المستقبل العربي، العدد 39، مايو 1982، ص 115.

وتمثل المشكلة الإريترية أحد أوجه العمليات التاريخية والسياسية حيث آثر سكان هذا الإقليم الإسلام واللغة العربية في مجتمع مغاير لهم ولا عجب في أن يعد إخراج هذا الإقليم من حيز العروبة خروجاً وشذوذاً عن القاعدة التي حكمت الساحل الإفريقي للبحر الأحمر بدءاً من الصومال إلى مصر،

خاصة إذا ما علمنا أن هذا الإقليم قد حكمته لسنوات طويلة الأسرة الفنجية التي ترجع أصولها إلى عرب "وادي شمايل" الواقع في عمان والذين نزحوا إلى إريتريا حوالي منتصف القرن الأول الهجري.

وقد تقابلت هذه الأسرة الفنجية مع الأمويين الذين فروا إلى شرقي أفريقيا وأحتلوا جزيرة "لامو" الواقعة على الشاطئ جنوب حدود الصومال مع كينيا ويبدو أنهم تصاهروا معهم(1).

(1) عبد الجليل، الشاطر بصيلي ، تاريخ حضارات السودان الشرقي الأوسط، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1972، ص 19.

الفصل الرابع
الأحوال السياسية والإدارية في شرقي أفريقيا
424-656هـ / 1129-1258 م

الفصل الرابع

الأحوال السياسية والإدارية في شرقي أفريقيا

1- ظهور الممالك العربية الإسلامية :

لقد ترك الفتح الإسلامي لمصر أثراً كبيراً على مملكة النوبة المسيحية التي حاولت أن تقاوم التيار الإسلامي حيث نجحت في صد أول حملة وجهها إليها العرب في عام 22 هـ ولكن المسلمين أعادوا الكرة في عام 31 هـ وتمكنوا من التغلب على جيوش مملكة النوبة وتوغلوا فيها حتى وصلوا إلى عاصمتها دنقلة، وعقدوا مع ملك النوبة معاهدة وتعهد الطرفان بتبادل التجارة وعد البعض من المؤرخين ذلك هدنة(1).

ويبدو أن العرب قد اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالبجة خلال القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) عن طريق البحر الأحمر وكذلك عن طريق وادي النيل، وخاصة من إقليم أسوان، إذ رحلوا إليها تجاراً وهاجروا إلى بلاد الذهب،

(1) Eliot, H., The East Africa, London, 1905, p. 85.

وكانت أول جماعة من العرب قد بنت المساجد بالإقليم وهذا ما مَهَّدَ لهم سبيل الاختلاط أول الأمر بالبجة في شرقي السودان الأمر الذي أسهم في تعريب هذه المنطقة. وتقول الروايات أنه لما اشتد هجوم البجة على ريف صعيد مصر في أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) رفع والي أسوان الأمر إلى الخليفة العباسي المأمون فأرسل إليهم عبد الله بن الجهم عام 216 هـ بقوات كبيرة للتصدي لهم فكانت له معهم حروبٌ سجالٌ لكنها لم تحسم الموقف فعقدت هدنة بين الطرفين انتهت بمعاهدة بينهما(1).

ويمكن تلخيص بنود المعاهدة فيما يأتي:

أن تكون حدود البجة من حدود أسوان إلى البلاد التي تمتد من دهلك وباضغ وتكون ملكاً للخليفة العباسي.

أن يؤدي ملك البجة كل عام الخراج على ما كان عليه أسلافه وهو مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار.

---

(1) الفيتوري، عطية مخزوم ،المرجع السابق، ص 158.

أن يحترم البجة الإسلام وأن لا يذكروه بسوء ولا يعينوا أحداً على أهله.

أن لا يمنعوا أحداًمن المسلمين من الدخول إلى بلادهم والتجارة فيها براً وبحراً.

أن لا يمنعوا أحداً من المسلمين تاجراً أو مقيماً أو مجتازاً أو حاجاً آمناً حتى يخرج من بلادهم.

إذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين أو تجاراً فلا يحملون سلاحاً ولا يدخلون المدن والقرى بأي حال من الأحوال(1).

غير أن مملكة البجة نقضت المعاهدة فلم تهدأ الأحوال على حدود الدولتين واستمرت المناوشات بينهما بضعة قرون كانت المسيحية خلالها منتشرة في مملكة النوبة حتى جاء عهد الدولة الأيوبية بمصر، ومن بعده المماليك، فَوّجهت الحملات خلالها إلى بلاد النوبة، وفي عهد الظاهر بيبرس ومن بعده السلطان قلاوون بلغت الحملات العربية مبلغاً عظيماً من القوة(2)، غير أن مملكة النوبة المسيحية أخذت في التفكك حوالي عام 688 هـ حتى آلت إلى السقوط وبدأ الإسلام يسيطر على هذه الدولة السودانية. وكان لبقاء النوبة على المسيحية حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أكبر الأثر في إيقاف تيار الزحف الإسلامي على الحبشة من الجهة الغربية،

---

(1) سبي، عثمان صالح، المرجع السابق، ص 80.

(2) الصـــوفي، خالد، محاضـــرات في تاريخ العرب الحديث، (ليبيا، منشـــورات جامعة قار يونس بنغازى)، 1986، ص 25.

أي من مصر عن طريق السودان، ولا سيما في ذلك الوقت الذي كانت فيه مصر قوية، فضلاً عن ذلك فإن جوار الحبشة لتلك المملكة المسيحية جعل لها متنفساً تتصل عن طريقه بالعالم الخارجي وتتحرك سياسياً وتجارياً. وقد تسببت الحروب والقلاقل والمناوشات التي وقعت في تلك العهود بين المسلمينفي مصر وبين بلاد النوبة والبجة في ازدياد هجرة قبائل البجة شرقاً في اتجاه البحر الأحمر(1)، حيث اختلطت تلك القبائل الحبشية وبنو عامر مع غيرها من القبائل في شرقي السودان، وكذلك مع قبائل التيجرى التي كانت تشكل غالبية السكان في وسط إريتريا وفي شمالي الحبشة الحالية، ولكنها حافظت على لغتها الأصلية على الرغم من شدة هذا الاختلاط، حتى بدأ الإسلام ينتشر بين البجة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين وكان يقيم بعض المسلمين في وادي نهر بركة. ومع إطلالة القرن العاشر الهجري تركز الإسلام وأخذ مكانته بين هذه القبائل بحيث اعتنقه غالبية سكان الساحل ولكن بقيت بعض القبائل تعتنق المسيحية(2). ويلاحظ أن الإسلام قد انتشر في شمالي الحبشة في خمس مناطق بين قبائلها الثمان،

(1) سبي، عثمان صالح، المرجع السابق، ص ص 82-83.
(2) الفيتورى، عطية مخزوم،المرجع السابق، ص 160.

والمنطقة الأولى هي ميناء عدول إذ كان يقطنها فريق من العرب والطائفة الثانية هي قبائل الساهو وكانت تسكن في جنوب سمهر والطائفة الثالثة مسلمو بركة وهم من قبائل البجة التي عاشت بين النيل والبحر الأحمر واحتلت جزءاً من شمال الهضبة الحبشية ومعهم عناصر حبشية أخرى دخلت الإسلام قبل هذا التاريخ لكن بعض القبائل بقيت على وثنيتها(1).

الحبشــة:

لم تكن الحبشة ضمن الممالك التي وجه إليها المسلمون حملاتهم في العهد الأول الذي شهد الاندفاع الإسلامي العظيم، ويبدو أن ذلك راجع إلى عدة عوامل منها: تركيز المسلمين على كسر شوكة الإمبراطوريتين المجاورتين لبلاد العرب وهما الفارسية والبيزنطية، واعتبار مصر التي سيطر عليها البيزنطيون أكثر أهمية من الحبشة لمركزها الهام ولها قصب السبق في ميدان الحضارة والعمران، ومن الأسباب أيضاً تأثر المسلمين بالعلاقات الطيبة التي كانت لهم مع النجاشي الذي كان له فضل كبير على المسلمين في محنتهم في بواكير عهد الإسلام.

(1) Simmons, L. : History of Islam in East Africa, London, 1965, p. 62.

وفيما بين القرنين التاسع والتاسع عشر الهجريين تم خراب ميناء عدول من جّراء الغارات الخارجية، وتوقفت أسواق أكلوم، ولم يعد هناك أي نشاط للتجار الأجانب، وتعطل بناء الكنائس، وانقطعت الصلة بين الحبشة والعالم الخارجي(1). ولكن بعد فترة من الزمن أخذ بعض قراصنة الأحباش يهددون تجار العرب في البحر الأحمر مما اضطر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (س) إلى إيفاد حملة بحرية لتأديبها في عام 21هـ ولكنها لم تكلل بالنجاح، واستمر نشاط هؤلاء القراصنة إلى درجة اضطر المسلمين في عام 83هـ إلى اتخاذ خطوة حاسمة لوضع حد لتلك الحملات بأن جردت حملة بحرية لاتخاذ مركز بحري على الشاطئ الغربي، فاحتلت مجموعة جزر دهلك المجاورة لميناء عدول (مصوع فيما بعد)، وكان احتلال المسلمين لهذا المركز الممتاز بداية لاستيلائهم على باقي المراكز التجارية على الشاطئ الأفريقي وبداية الانتشار التدريجي للإسلام في شرقي أفريقيا. وقد ساعدت على انتشار الإسلام وتغلغله في شرقي أفريقيا والحبشة عدة عوامل، كما أنه مرّ بعدة مراحل وعصور، يمكن تقسيمها إلى ما يلي :

بداية انتشار الإسلام في الحبشة وهجرات المسلمين العرب إلى شرق أفريقيا واشتغالهم بالأعمال التجارية كغيرهم دون أن يكون لهم كيان سياسي.

(1) بولم، دنيس، المصدر السابق، ص 72.

عصر سيادة مملكة شوا.

عصر سيادة مملكة ايفات.

عصر سيادة هرر تحت قيادة أحمد بن إبراهيم.

بدأ الاتصال الأول بين الإسلام والحبشة في عهد رسول الله (ق)،ثم اضطر المسلمون لحماية تجارتهم وشواطئهم إلى الاستيلاء على جزر دهلك وجعلوا منها قاعدتهم الأولى ومركز انطلاقهم، ومنها امتد نفوذهم حتى استولوا على سواحل البحر الأحمر وجزر المحيط الهندي الأفريقية، ثم أخذ نشاطهم يمتد ويتسع إلى الدواخل حتى استولوا على أغلب الأراضي الحبشية، وبدأت مملكة الحبشة القديمة في عزلتها التي ازدادت على أثر زحف قبائل البجة من شاطئ النيل وانتشارها في شمالي الحبشة حتى ساحل البحر(1). ومن الأسباب المهمة التي ساعدت على تغلغل الإسلام في الحبشة هي الأحوال الداخلية المضطربة. وكانت هناك هجرات عديدة ومختلفة، وفي العصور التي تلت ظهور الإسلام كانت لهذه الهجرات سماتها الإيجابية والسلبية، لكنها اختلفت من حيث نتائجها وتأثيراتها،

(1) سبي، عثمان صالح، المرجع السابق، ص 42.

فكان للبعض منها آثار سلبية تخريبية لأنها كانت تقوم على الغزو وسلب جزء من الأرض المقصود الاستقرار فيها، ولكن هجرة المسلمين إلى الحبشة كانت تتسم بالهدوء التام وتميزت بالطابع الروحي والمعنوي لأنها هجرة قصد منها نشر الدعوة الإسلامية الجديدة التي دعا إليها الرسول (ق) ليعرف العقلاء من جيران مكة خصائص هذا الدين العظيم وفضائله(1).

لا شك أن هجرات العرب إلى سواحل الحبشة والصومال كانت مستمرة منذ تلك العصور القديمة، والظاهر أن العرب كانوا قد تعودوا أن يجدوا في هذه السواحل ملجأً يفرون إليه ومنقذاً لهم من ظروف الحياة القاسية. وكانوا يجدون في هذا الساحل فرصاً كثيرة لكسب الرزق باحتراف التجارة وسائر المهن البحرية المختلفة، فلم تنقطع الهجرات إلى هذا الساحل حتى الوقت الحاضر "وكانت طبيعة البحر الأحمر والقرن الأفريقي تساعد على الملاحة السهلة المتيسرة طوال العام بين شاطئيه الشرقي والغربي فقامت علاقات بين سكان الجزيرة العربية والبلاد الأفريقية الواقعة على ساحله الغربي وهذا أمر طبيعي جداً منذ أقدم الأزمنة(2).

(1) الشـامي، أحمد، نظرات في هجرة المسـلمين إلى الحبشـة،مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد 16،1981، ص 97.

(2) حسن، يوسف فضل، البحر الأحمر في التاريخ، محاضرات الموسم الثقافي الأول، إعداد محمد عبد السلام الجفائري، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية)، 1989، ص ص 41-42.

ولما كان العرب يشتغلون بالتجارة، وبنقلها بين الأسواق المختلفة، كانت الحبشة أحد هذه الأسواق التي يقصدونها لحمل البضائع منها وإليها، وكانت اليمن أهم المراكز التجارية وقتذاك، ومنها تنقل عبر الجزيرة إلى الشام وأسواق العراق وفارس والهند.

ويرجع أول اتصال للمسلمين بالحبشة إلى الفترة التي سبقت هجرة الرسول (ق) إلى المدينة المنورة فقد تمت الاتصالات بينه وبين نجاشي الحبشة منذ السنة الخامسة للبعثة، وتوجت تلك العلاقات بهجرة أصحابه إليها بسبب اضطهاد قريش لهم. وقد تمكن هؤلاء المهاجرون من عرض رسالتهم وهدفهم بصدق في بلاط النجاشي أمام مؤامرات قريش التي هدفت إلى إبعادهم عن الحبشة وبذلك ارتفع صوت الإسلام في الحبشة ومن داخل قصر النجاشي قبل أن يتعدى حدود مكة(1).

وكان هناك عامل آخر على جانب كبير من الأهمية مما ساعد على انتشار الإسلام في هذه المنطقة، وهو أن الإسلام حرّم أن يسترق مسلم مسلماً، لذلك لم يكن هناك من مخرج أمام أفواج الرقيق وسكان الصومال والحبشة وكذلك السودان الذين تعرضوا دائماً لغزوات النخاسين إلا الدخول في الإسلام الذي يمنع عنهم ذلك الأسر ويقيهم مهانة الرق والعبودية، فأخذ الإسلام ينتشر بينهم بتزاوجهم مع بعضهم ومع العرب المسلمين النازلين بينهم(2).

(1) حسين، أحمد الياس، المرجع السابق، ص 230.

(2) Jaque, L., Histoires des pirates, Paris, 1917, p. 20.

كل هذه العوامل أسهمت في انتشار الإسلام في الحبشة وشرقي أفريقيا ومن ثم أدت إلى ظهور الولايات والإمارات الإسلامية فيها. أما الأحداث التي تعاقبت على الدولة الإسلامية وساعدت على الهجرة فهي حروب الردة والعصبيات السياسية التي أدت إلى ظهور الفرق الدينية والسياسية(1) ، كما لعبت طبيعة البلاد دوراً مهماً في وجهة تلك الهجرات حيث اتجهت الهجرة العربية في الحبشة نحو ثلاثة أماكن هي(2) :

المنطقة الشمالية حول ميناء عدول أو ما وراءَها من حواف الهضبة التي يطلق عليها الآن اسم إريتريا.

المنطقة الممتدة من شمال باب المندب بقليل إلى جنوب خليج عدن ومنطقة الحافة الشرقية للهضبة التي تلي هذه المنطقة ويطلق عليها اسم هرر.

المنطقة التي تشمل مقديشو الحالية والجزء الواقع جنوبها بقليل.

ومن هذه المناطق الثلاث بدأ التسرب إلى الهضبة فالتجار لا يقتنعون بمنطقة الساحل الذي لا يعدو أن يكون مدخلاً أو مخرجاً لتجارتهم ولكن المهم لديهم هو الأسواق، فالمنطقة الأولى متصلة اتصالاً مباشراً بالهضبة غير أن وجود مملكة أكسوم فيما وراء هذه المنطقة من ناحية الجنوب الغربي كان يقف حائلاً دون هذا التوغل إذا رغبوا فيه،

(1) الحميمي، أحمد بن حسن، سيرة الحبشة، ط2(بيروت، شركة النهار للخدمات الصحفية)، 1981، ص80.
(2) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 156.

ولكنه لا يمنع أن يتوغل فريق إلى الداخل ملتفاً حول أطراف الهضبة الشمالية حيث منطقة مملكة سنار الإسلامية حيث لجأ إليها المسلمين الذين انحدروا من مصر فافلحوا في القضاء على دولة النوبة وأقاموا تلك المملكة الإسلامية بسنار التي أصبحت نواة لدولة الفونج السودانية(1)، والمنطقة الثانية قريبة الاتصال بالهضبة الحبشية من ناحية الشرق وصحراء الدناكل التي تفصل الساحل عن الهضبة، وهي هنا ضيقة في ذلك الجزء، كما أن وادي نهر اواش يتيح لهم ممراً طبيعياً يقودهم إلى المنطقة الوسطي من الهضبة حيث هضبة إقليم شواء، والمنطقة الثالثة بعيدة نوعاً ما عن الهضبة الحبشية إلا أن وادي نهر شابللي وجوبا يقودان إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من الهضبة الحبشية حيث يقع إقليم بالي الخصيب.

(1) Eliot, H., The East Africa, London, 1905, p 72.

ممالك الساحــل:

ممالك الطراز:

تأسست مجموعة من السلطنات والممالك بعد أن ازداد انتشار الإسلام وثبتت أقدامه، وقد اتسمت هذه الإمارات بالطراز الإسلامي، وهي البلاد التي يقال لها بلاد زيلع(1) ، "والزيلع إنما هي قرية غلب عليها اسمها، وتشمل هذه البلاد سبع قواعد لكل قاعدة منها مملكة مستقلة بها ملك مستقل ويسمى ملوكها بملوك زيلع(2)، وقد كانت هذه الإمارات هدفاً لملوك الحبشة ردحاً من الزمن إذ قامت الحروب الدامية بين الطرفين، وأهم هذه الممالك السبع هي :

1- مملكة أوفات :

وهي أقوى ممالك الطراز الإسلامي وأكبرها، وقد كان لها نفوذ أدبي عليها فقد قال العمري "إن جميع ملوك هذه الممالك السبع تعظم صاحب أوفات وتنقاد له بالمعاضدة في بعض الأوقات"(3).

(1) Kemith, I.A., History of Eeast Africa, London, 1964, p 92.

(2) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 163.

(3) العمري، المصدر السابق، ص 24.

كما أن موقعها جعل منها أقوى سلطنة إسلامية قامت في بلاد الحبشة، فقد كانت تتحكم في الطريق التجاري الذي كان يربط الداخل بميناء زيلع(1). ومملكة أوفات كما أشار العمري نقلاً عن الفقيه عبد الله الزيلعي ومن معه من فقهاء هذه البلاد "إن طول هذه البلاد خمسة عشر يوماً وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد، وكلها عامرة آهلة بقرى متصلة وبها نهر، وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية والى السواحل المقابلة لليمن، وهي أوسع هذه الممالك أرضاً، والاجتلاب إليها كثير لقربها من البلاد، وملكها يحكم على الزيلع، والزيلع اسم ميناء للتجار الواردين إليها، وهو في وقتنا اليوم شافعي المذهب وغالبها شافعية، وعسكرها خمسة عشر ألفاً أو يزيد من الرجالة"(2). وعلى الخرائط الحالية نجد أن مملكة أوفات كانت تمتد من شرق شوا إلى شمالي أديس أبابا وإلى وادي هوامش باتجاه خليج عدن(3)

(1) طرقان، إبراهيم علي، الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة، المجلد الثامن، (القاهرة، المجلة التاريخية المصرية)، 1959، ص 37.
(2) العمري، المصدر السابق، ص 18.
(3) Budge, E.W., History of Ethiopia, Volume 2, London, 1958, p. 310.

أي أنها كانت تشمل ما يعرف الآن بجيبوتي والجزء الجنوبي من إقليم إريتريا وسهول الدناكل التي تمتد جنوباً وتضم الجزء الشرقي من حوض نهر هوامش والهضبة الصومالية بما فيها من منطقة هرر والاوجادين، وتمتد شرقاً لتشمل جزءاً كبيراً مما يعرف الآن بالصومال الشمالي، بما فيه من موانئ زيلع وبربرة ويمكن تحديد موقعها بين خطي عرض 40-46 شرقاً(1).

وجاء في تقويم البلدان "إنه من زيلع إليها نحو عشرين مرحلة وهي من جهة الغرب بعيدة من البحر جداً ودار الملك على تل والقلعة على تل وهي على نشز من الأرض وتمطر في الليل غالباً مطراً خفيفاً"(2)، ومملكة أوفات هي جبرة أو جبرتا التي أسسها قوم من قريش وهناك من يقول أنهم من بني عبد الدار، ومنهم من يقول أنهم من بني هاشم من أبناء عقيل بن أبي طالب جاء أولهم من الحجاز، واستوطنوا مدينة أوفات، وعرفت جماعة منهم بالخير واشتهروا بالصلاح(3).

(1) عبد العليم، رجب محمد، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الإسلامية، ط2،(القاهرة، دار النهضة العربية)، 1985، ص 160.
(2) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل الأيوبي، المصدر السابق، ص 160.
(3) المقريزي، احمد بن علي، مصدر السابق، ص 9.

وكان عمرو لشمع أول من ظهر كحاكم لمملكة أوفات، واستمر في حكمها لفترة طويلة حتى توفي وترك أربعة أو خمسة أبناء ملكوا أوفات من بعده واحداً بعد الآخر حتى كان آخرهم صبر الدين محمد بن نحوي ابن المنصور ابن عمرو لشمع ملك أوفات في حدود سنة 700هـ(1300م)(1)، وتتميز الفترة التي أعقبت صبر الدين ببروز صراع سياسي وديني بين حكام مملكة أوفات وملوك الحبشة، هذا الصراع الذي استمر لفترة طويلة بين الجانبين حتى بعد أن انحطت عاصمة أوفات ولم تعد دار ملك(2).

تحدث العمري عن مملكة أوفات مستعرضاً بعضاً من مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية وطبيعة السلطة فيها وهو وصف ينطبق على بقية ممالك الطراز الإسلامي، فعن زي أهل هذه المملكة قال العمري "إن الملك يعتصب على رأسه بعصابة من الحرير تدور بدائر رأسه ويبقي وسط الرأس مكشوفاً وأما الأمراء والجند فتعصب رؤوسهم بعصائب من قطن ولا يعتصب بالحرير إلا الملك، وقلّ من يلبس منهم قميصاً أو ثوباً مخيطاً وإنما يأتزرون بثياب غير مخيطة ويشد وسطه بثوب ويأتزر بآخر ويلبسون سراويلات وأما الفقهاء فيلبسون العمائم وعامة الناس تلبس كوافي بيضاء"(3).

(1) المصدر نفسه، ص 9.
(2) المصدر نفسه، ص ص 9-20.
(3) العمري، المصدر السابق، ص 18، القلقشندي، المصدر السابق، ص 318.

وعن مراسم السلطة في مملكة أوفات تحدث العمري قائلاً "إن الملك أو الأمير إذا مشى يتوكأ على رجلين من خاصته، والملك يجلس على كرسي حديد مطعم، علَوه أربعة أذرع ويجلس أكابر الأمراء حوله على أخفض من كرسيه وبقية الأمراء وقوف ويحمل رجلان على رأسه السلام(1)"، وعن الحالة الاقتصادية وما تنتجه وما يوجد في هذه المملكة أشار العمري "إن أقواتهم القمح والذرة وتوجد لديهم الأبقار والأغنام بأعداد كثيرة، ولديهم السمن والعسل، وأما الماعز فقليلة عندهم، وقال إن أسعارها رخيصة وكيلهم يسمي الرابعية، وهذا الكيل مقداره ويبة مصرية، ورطلهم اثنتا عشرة أوقية وزن الأوقية عشرة دراهم، كما ذكر ما تحتويه هذه البلاد من الخضر والفواكه فقال ان عندهم قصب السكر والموز والليمون وقليل من النارنج والرمان الحامض والمشمش والتوت والعنب وعندهم اللوبياء والخردل والباذنجان والبطيخ الأخضر والخيار والقرع والكرنب وتطلع عندهم الملوخية برية والذهب يجلب إليهم من داموت وكجام وهي بلاد معادن الحبشة كما ذكر أنه ليس بأوفات وبلادها دار ضرب ولا سك ومعاملاتهم بدنانير مصر ودراهمها مما يدخل مع التجار إلى بلادهم"(2).

(1) العمري، المصدر نفسه، ص 319.
(2) العمري، المصدر نفسه، ص 19-20؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ص 315.

2- مملكة دوارو:

تقع هذه المملكة إلى الجنوب من مملكة إيفات، ويمكن وضعها على الخرائط الحالية فيما بين نهر هواش وأعالي نهر ويبي شبلي، وهي المنطقة التي تعرف حالياً بإسم أتوا(1).

وقدر المقريزي امتداد مملكة دوارو بقوله "طولها خمسة أيام وعرضها يومان وهي رغم ضيقها وصغر حجمها تمتلك من العسكر ما يعادل عسكر مملكة أوفات من فرسان ومشاة، ويسود في مملكة دوارو المذهب الحنفي، وتشترك أوفات مع بقية الممالك الأخرى في اللبس والهيئة والركوب، والملاحظ ان مملكة دوارو كانت أكثر تقدماً اقتصادياً إذ كانت لديها عملة يطلق عليها اسم الحديد وتسمى الواحدة منها أيضاً (حكتة)، وتباع البقرة الجيدة فيها بخمسة آلاف حكتة ويقدر سعر رأس الغنم بثلاثة آلاف حكتة(2).

(1) أمين، محمد محمد، الصومال في العصور الإسلامية، المسح الشامل لجمهورية الصومال، (بغداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية)، 1982، ص 79، نادو، محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي،ب.ت، ص 96.

(2) المقريزي، احمد بن علي: المصدر السابق، ص 7.

3- مملكة أرابيني:

هذه المملكة كما قيل أنها كانت مربعة الشكل طولها مسير أربعة أيام وعرضها مسير أربعة أيام أيضاً، ويصل عدد عسكرها إلى ما يقرب من عشرة آلاف فارس، وهي لا تختلف عن مثيلاتها من ممالك الطراز الإسلامي في عاداتها وتقاليد أهلها(1)، وهي الأخرى يسود فيها المذهب الحنفي وتقع شمال شرقي بحيرة تانا(2).

(1) العمري، المصدر السابق، ص 22، المقريزي، المصدر السابق، ص 79.
(2) أمين، محمد محمد، المرجع السابق، ص 79.

4- مملكة هدية:

وموقعها جنوبي إيفات حيث تقع في أعالي نهر أيدمو الذي يصب في بحيرة رودلف وهي المنطقة التي تعرف الآن باسم بوران وانتدي(1) أي أنها تقع غرب السلطنات الإسلامية وتجاور أرابيني، وهي تشغل مساحة واسعة بين نهري هواش وجيبي(2). وتعد مملكة هدية أقوي الممالك الإسلامية السبع رغم صغر مساحتها، فصاحب هدية كما قال العمري هو" أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبع وأكثرهم خيلاً ورجلاً وأشدهم بأساً، فهو لديه نحو أربعين ألف فارس غير الرجال فإنهم خلق كثير من الفرسان بمرتين"(3). ومملكة هدية طولها ثمانية أيام وعرضها أربعة أيام، وقد اشتهرت مملكة هدية في تاريخها بتجارة الخصيان التي كان يمنعها صاحب امحرة وينكرها عليهم إلا أن تجار العبيد والسراق كانوا يقصدون بهؤلاء إلى مدينة وشلوا القريبة من أوفات حيث كان أهلها همج لا دين لهم ولهم خبرة في عملية الخصي التي كانت تزيد في الثمن، ثم بعد ذلك يحملون إلى مدينة هدية حيث تُجرَى لهم عملية أخرى وهي فتح مجرى البول الذي يكون قد سد عند عملية الإخصاء، ومع ذلك فالذين يموتون من جراء ذلك أكثر من الذين يبقون على قيد الحياة(4).

(1) أمين، محمد محمد، المرجع السابق، ص 79.
(2) طرقان، إبراهيم علي، المرجع السابق، ص 40.
(3) العمري، المصدر السابق، ص 22.
(4) العمري، المصدر نفسه، ص ص 22-23.

5- مملكة شرخا:

وهي تقع غرب إيفات بين هدية ودوارو(1)، "وهذه المملكة طولها ثلاثة أيام وعرضها أربعة أيام، وأهلها حنفية المذهب، ويبلغ تعداد عسكرها نحو ثلاثة آلاف فارس وهي لا تختلف عن بقية أخواتها من مدن الطراز الإسلامي فيما تحتوي عليه من منتجات مختلفة"(2).

---

(1) أمين، محمد محمد، المرجع السابق، ص 80

(2) العمري، المصدر السابق، ص 23.

6- مملكة بالي:

تقع جنوب سلطنة دارة التي سنتحدث عنها فيما بعد ويحدها من الشمال نهر ويبي شبلي ومن الجنوب نهر جرانا إلى دوريا، هذا الموقع الجغرافي جعلها تتحكم في وادي الصومال، ويسكن جنوبها فريق من عنصر الجالا(1).

وطول هذه المملكة عشرون يوماً وعرضها ستة أيام، وهي تتميز بأنها أخصب بلاد الزيلع، وأهلها لا يتعاملون بالنقود بل بالمقايضة مثل البقرة والغنم والقماش(2)، وهي تلي شرخا وأهلها حنفية المذهب ويقدر عسكرها بنحو ثمانية عشر ألف فارس(3).

(1) طرقان، إبراهيم علي، المرجع السابق، ص 39، أمين، محمد محمد: المرجع السابق، ص 80.
(2) العمري، المصدر السابق، ص 23، المقريزي، المصدر السابق، ص8.
(3) العمري، المصدر السابق، ص 23.

7- مملكة دارة:

تقع على حدود أوفات الغربية وشمال شرقي هدية في منطقة السيداما(1)، ومملكة دارة هي أضعف ممالك بلاد الزيلع وأقلها ولا يزيد عسكرها على ألفي فارس، ويبلغ طول دارة ثلاثة أيام وعرضها مثلها أيضاً، وأهلها حنفية المذهب وهم يتعاملون مقايضة أيضاً وأحوالها مثل بقية مدن الطراز الأخرى(2).

وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن ممالك الطراز الإسلامي أصبح لها كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ونلحظ أنه قبل العمري لم يذكر أحد من الرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين شيئاً يذكر عن هذه الممالك التي ربط بينها الإسلام أكثر من أي شيء آخر. وقد كانت هذه الممالك في مواجهة بلاد الحبشة المسيحية التي دخلت معها في صراع مرير طوال العصور الوسطى حيث استقى العمري معلوماته عن تلك الممالك كما قال عن الشيخ عبد الله الزيلعي، والذي يدل اسمه على أنه من بلاد الزيلع نفسها، وكذلك من فقهاء وشيوخ تلك الممالك. وكما هو معروف فإن العمري كان مدققاً ومحققاً على درجة كبيرة في معلوماته التي استقاها من أصحابه، كما أنه أفاد من عمله بديوان الإنشاء في الاطلاع على المكاتبات التي كانت تجري بين أمراء تلك البلاد والمماليك في مصر،

(1) طرقان، إبراهيم علي، المرجع السابق، ص 40.
(2) العمري، المصدر السابق، ص 63؛ المقريزي، المصدر السابق، ص8.

ولذا فقد حرص على أن تعكس معلوماته صورة حقيقية لواقع تلك الممالك السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كما يتضح لنا أن العمري كان على معرفة بأسرار البلاغة، كما كان متملكاً بجدارة ناصية اللغة العربية، ولذا فقد تجنب الإطالة والإسهاب، وحصر اهتمامه في النواحي الجوهرية، ولذا فقد أمدنا بمعلومات قيّمة عن أحوال تلك الممالك، وقال أيضاً في الباب الثامن من كتابه، والذي هو في ممالك المسلمين في الحبشة، إن فيه سبعة فصول، الفصل الأول في أوفات والثاني في دوارو والثالث في أرابيني والرابع في هدية والخامس في شرخا والسادس في باكي والسابع في دارة(1).

ممالك الداخــل:

مملكة شــوا:

نفذ الإسلام إلى منطقة جنوب شرق الهضبة الحبشية سلمياً منذ وقت مبكر عن طريق الهجرات العربية التي وصلت إلى هناك، حيث وجد الإسلام أرضاً خصبة فانتشر بين القبائل مكوناً أساساً لإمارات متباعدة عن بعضها البعض. وربما يعود ذلك إلى مكان استقرار تلك الجماعات المهاجرة، ومدى علاقتها بالقبائل المستقرة بجانبها.

(1) العمري، المصدر السابق، ص 24.

ومن تلك الإمارات: عدل، وموراً، وهويان، وجيديا، وشوا، التي قامت في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وكانت الأخيرة، كما يرى البعض تنتسب إلى أسرة عربية من بني مخزوم يحتمل أنها هاجرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(ا) أو منذ قيام الدولة الأموية حيث استقرت هناك، وربما يكونون قد نزلوا أول الأمر في ضيافة إمارة محلية ثم اختلطوا بالأمراء عن طريق المصاهرة حتى آل إليهم الملك فيما بعد(1).

وقد كان لضعف مملكة أكسوم وعدم استقرارها السياسي أثر في قيام إمارة شوا(2) التي اعتبرت من أطول الإمارات الإسلامية عمراً، ويُعزى ذلك إلى استغلالها للظروف المحيطة بها لصالحها واتباعها سياسة سلمية، فقد عاصرت هذه الإمارة قيام الدولة الأجوية سنة 329هـ التي انشغلت عن شوا بصراعها السياسي وعدم استقرارها، كما أتاح لها الاتساع والاستقرار والأمن لتستمر حوالي أربعة قرون حتى وقوعها تحت سيطرة مملكة أوفات سنة 688هـ وظل تاريخ الإمارة يكتنفه الغموض مدة طويلة حتى عثر المستشرق الإيطالي سيرولي Cerulli في سنة 1345هـ على وثيقة عربية أكدت قيامها، مقتصرة على تأريخ فترة الخمسين سنة الأخيرة من حكمها(3)،

(1) حسن، أحمد محمود،الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية)، 1958، ص 395.

(2) لم تذكر المصادر الإسلامية القديمة إمارة شوا وربما يعود ذلك لبعدها عن الساحل نتيجة لموقعها فوق الهضبة الحبشية، وقربها من مملكة الحبشة.

(3) زاهر رياض، الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى، (القاهرة، دار المعرفة)، د.ت، ص ص 64-74، نقلاً عن سيرولي.

وتنافس الأسر الحاكمة، فلم يكن بينهم أي نوع من الاتحاد. وقد تأسست أول دولة إسلامية في قلب الهضبة الحبشية في إقليم شوا المشهور، وذلك في عهد ملوك الحبشة الأجاويين، وكان سلاطين هذه المملكة من بني مخزوم، أي القبيلة التي ينتمي إليها خالد بن الوليد، ويعود إنشاء هذه الدولة إلى عام 283هـ على يد نفر من بني مخزوم الذين تغلغلوا داخل البلاد. وقد دام حكم هذه الأسرة حوالي أربعة قرون، والمعروف منها فترة قصيرة، تمتدّ الفترة الأخيرة من حكمها وبداية عوامل الانحلال في الدولة وأخبار الاضطرابات الداخلية وأسماء الفرق المتصارعة وزعماءها(1). وقد استمرت مملكة شوا خلال أربعة قرون في شبه عزلة عن العالم الخارجي ومع أهميتها فإنها لم يرد ذكرها في أي مرجع من المراجع القديمة حتى تمكّن المستشرق الإيطالي سيرولي من العثور على مخطوطة عربية مجهولة عن هذه الفترة(2).

(1) Simmons (L), History of Islam In East Africa, London, 1965, p 62.
(2) Kemith (I), History of East Africa, London, 1964, p. 93

وقد استمرت أسرة المخزومي على عرش هذه المملكة حتى عام 622هـ حين اغتصبه شخص يدعي بالزره إذ قبض على عبد الله المخزومي وسجنه واغتصب العرش ثمانية عشر عاماً خرج عليه في نهايتها السلطان "جنبه" واستولى على العرش في عام 650هـ إذ استطاع هذا الأخير أن يقبض على ناصية الحكم ويورث عرشه للسلطان جيرام غازي، ولا تعرف علاقة هذا السلطان بمن سبقه ، وخلف غازي أخوه ولجامس ولكن يظهر انه لم يكن في كفاءة أخيه إذ خرج عليه عبد الله بن جنبه واستطاع أن يحكم لعدة شهور(1)، وهكذا كانت مملكة شوا قسماً مهماً من قلب الهضبة الحبشية وذلك في الجزء الذي تحتله قبائل الاجاويين، وبهذا امتد نفوذ الدولة الإسلامية إلى شواطئ النيل الأزرق(2).

2- ظهور حكومات المدن في الساحل الشرقي لأفريقيا:

لا شك أن الهجرات العربية لبلاد القرن الأفريقي قد تمخضت عن عدد من الآثار الحضارية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالهجرات العربية تزايدت أعدادها مع مرور الزمن ومع وجود ظروف جديدة للهجرة، وكونت ما عرف بدول المدن الساحلية والتي انتشرت على طول الشريط الساحلي

(1) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 162.
(2) حسن، حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 120.

بما في ذلك بلاد القرن الأفريقي حالياً(1).هذه المدن قامت على ممارسة النشاط الاقتصادي التجاري وهو سبب بقائها وتطورها اللاحق، وهذه المدن عند نشأتها كانت عبارة عن موانئ ومراكز تجارية أخذت في التطور والنمو حتى اتسعت في داخل أسوارها وتحولت بفعل الزمن إلى مدن حضارية على درجة كبيرة من الازدهار.

ويذكر دافيدسن أن المدن التجارية على ساحل بلاد الصومال وتنجانيقا قد تحولت إلى مدن عربية صرفة يسكنها المهاجرون العرب منذ القرنين الأول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين)(2)، وفي هذه المدن تولت أسر عربية مهاجرة أمور السلطة السياسية فيها وإدارة شئونها، ولذلك يلاحظ أن هذه المدن تباينت في علاقاتها السياسية بين التحالف والعداء، كما أن هذه المدن تمتعت بنوع من الحكم الذاتي المستقل، وربما بلغ عدد هذه المدن سبع عشرة مدينة، غير أنها لم تتمكن من تشكيل مملكة تحكمها سلطة واحدة، بل ظلت في عداء متبادل وقد احتفظت بطابع أفريقي مميز، فاللغة السواحلية المنتشرة فيها هي في الأصل لغة قبائل البانتو،

---

(1) المشري، محمد عمر، المرجع السابق، ص 89.
(2) دافدسن، بازال، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد احمد، (بيروت، دار الثقافة)د.ت، ص 247.

ولكنها تأثرت إلى حد كبير باللغة العربية، أما ديانتها فهي الإسلام، ولكنه إسلام مشبع بالطقوس الإحيائية العائدة إلى الديانات الأفريقية الأصلية، وقد ظل الطبل الكبير أحد شعاراتهم في تلك المدن(1). ويمكن القول أن الهجرات العربية كانت في تتابع مستمر، ومما لا شك فيه هو أن هذه المدن كانت إحدى إفرازات طرق التجارة الملاحية العالمية في عالم البحر الأحمر والمحيط الهندي، وكانت أشهر هذه المدن في بلاد الصومال هي ، بربرة، زيلع، مقديشو، حركة، براوه، وارشيخ، وكسمايو، ومصوع، وقرقونه، وهرر، وعيذاب. وهناك عدد من المدن التي شيدت واندثرت ولم تصلنا أخبارها وأحوالها. وفيما يلي ظهور حكومات بعض المدن في الساحل الشرقي لأفريقيا:

أ- باتا :

إحدى جزر أرخبيل لامو، تواجه ساحل سلطنة ويتو وأهم جزر هذا الأرخبيل: لامو، ومالنده. وقد عثر في باتا على بقايا مبان عليها نقوش عربية تعود إلى ما بين عامي 930-1024هـ "ويحتمل أن تكون الجزيرة قد اشتقت اسمها من قبيلة الباتوية، وكان أهلها في معارك مستمرة ضد السكان الوثنيين المجاورين وقد اشتهرت هذه الجزر كمراكز للرقيق"(2).

(1) زيريو، جوزيف-كي، المصدر السابق، ص ص 300-301.
(2) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 119.

وتذكر الوثائق التاريخية المتعلقة بباتا أن مؤسسيها هما سليمان وسعيد حوالي عام 81هـ أو بعد ذلك بقليل، ثم خضعت للإخوان السبعة حوالي عام356هـ وأصبحت بعد أن فقدت استقلالها إمارة تابعة لكلوه المعروفة باسم تالوف 586-587هـ وفي مستهل عام 600هـ (القرن الثاني عشر الميلادي) استطاع سليمان بن مظفر النبهاني من سلاطين مسقط أن يتزوج أميرة سواحلية ابنة اسحق حاكم باتا(1)، ثم ورث الملك وأصبح أميراً شرعياً ونقل قاعدته من عمان إلى شرق أفريقيا، وتأسست الأسرة النبهانية في مدينة باتا التي قامت بدور بارز بين المدن الإسلامية على ذلك الساحل مدة طويلة، وهكذا لم يكد القرن الثاني عشر ينتصف حتى كانت المدن الإسلامية قد تناثرت على طول الساحل الشرقي الأفريقي، من سواكن شمالاً حتى موزمبيق جنوباً(2). وازدهرت ثروة وغنى، وزاد الإسلام رسوخاً بين أهلها، وبدأت تتسع رقعتها بالتدريج ممتدة إلى داخل القارة، وتحولت إلى سلطنات إسلامية قوية، وقد برزت الأسرة النبهانية في أواخر القرن الثامن الهجري (الثالث عشر الميلادي) ولا سيما في عهد حاكمها عمر الأول 733-760هـ وامتد سلطانها على جزء كبير من ساحل شرق أفريقيا، وتميزت بتقاليد جديدة في الملائمة بين الضرائب وبين النشاط الاقتصادي(3)

(1) وثائق تاريخ باتا المحلي، وفقد معظمها أثناء تخريبها عام 1308هـ، انظر: Coupland, Regnald, S.: The Exploitation of East Africa, the book of Durate Barbosa, Vol2, (Londodn, Edited by M.I. Dames), 1933.

(2) Warner Hodgkin, R.: History of Pate, The Gournal of Africa History, 1308..

(3) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 120.

. واستطاعت أسرة بني نبهان في باتا أن تبسط نفوذها على كثير من مدن الساحل الشرقي طوال القرنين السابع والثامن الهجريين، واستطاعت كلوه أن تحقق مثل هذا النفوذ في القرن التاسع الهجري، غير أن هذه الجهود لم تتمخض عن إنشاء وحدة سياسية تجمع شمل هذه المدن العربية التجارية، ويعد تاريخ مدينة باتا وتأسيسها من أغنى ما حفظته لنا الروايات المحلية السواحلية(1).

ويستفاد من التاريخ الذي ذكر عن مدينة باتا أن الأصل في تأسيسها يرجع إلى حكم عبد الملك بن مروان الذي شهد عهده تأسيس العرب لعدة مدن على الساحل الشرقي لأفريقيا، مثل لينده وزنجبار وممبسه ولامو وكلوه وباتا، ولما سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية اعتمد الخليفة هارون الرشيد على ما كان للدولة الأموية من ممتلكات في شرق أفريقيا فعزم على تدعيمها، ومن اجل ذلك شجع الكثير من العناصر وخاصة من الفرس على الإقامة في تلك المراكز الإسلامية(2).

---

(1) Coupland, Regnald, S., East Africa and its Invaders Oxford, c.f., Journal of the African Society, vol XIV, 1913, p.21.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن تاريخ المدينة قد تعرض له الكثير من الباحثين نخص منهم وارتر في بحثه عن التاريخ السواحيلي لمدينة باتا كما توافر على جمع مادة هذا التاريخ كل من : A.H. Prins, C.H. وقد قام برنز بدراسة الروايات السواحيلية المختلفة التي حصل عليها والمتعلقة بتاريخ المدينة وحاول أن يدرسها دراسة مقارنة وكانت ثمرة جهده مقالة بعنوان Stigond on Swalini Historiography ووضع كتاباً بعنوان في أرض الزنج.

(2) قاسم، جمال زكريا، المرجع السابق، ص 69.

وقد بلغت السلطنة البنهانية شأناً كبيراً في بعض فترات من تاريخها فقد كانت تضم إليها كسمايو وبراوة ومقديشو، وكان ذلك في عهد ملكها محمد شانجا، كذلك امتدت في عهد أبنائِهِ إلى مالينده وكلوه وممبسه، وهكذا استطاعت هذه الأسرة العربية أن تخضع معظم الساحل الشرقي تحت لوائها(1). وفي عهد ازدهار سلطنة باتا نشطت الحركة التجارية في الشرق الأفريقي، وتوافد على الساحل التجار العرب والهنود، كما أُدخلت أنواع من المحاصيل الزراعية في بقاع كثيرة. ويمكن القول أن باتا أصبحت القوة الكبرى تحت حكم الأسرة النبهانية منذ أن توسعت شمالاً تحت حكم محمد الثاني بن أحمد وتوسعت جنوباً تحت حكم عمر بن محمد، وقد استولى محمد الثاني، وهو أول حاكم يحصل على لقب فوموFumo(2)، على مدينتي شانجا وفازا، وهما من مدن جزيرة باتا، وعلى بعض الجزر المجاورة مثل (كيوايووندوا) ثم عمل على توسيع دائرة نفوذه تجاه الشمال حول الساحل، فأخذ الجزية من المدن والقرى حتى براقا ومقديشو حتى انه أقام ممثلاً له هناك.

---

(1) Freeman-Grenville: Selected Cumnets on East Africa, pp 211-242.

(2) Fumo لقب رئيس القبيلة.

- انظر، ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 45.

أما ابنه عمر فقد وجه اهتمامه ناحية الجنوب فاستولى على مدن جزيرة ماندا الثلاث، وهي: ماندا وتاكا وكيتاو، ثم على دولة أونرى على الساحل في دولة شاكا التي كان Liyongo البطل الأسطوري الذي خلدته الملحمة الشعرية Mtenzi Wamonga، قد أنشأها على ساحل مريما Mrima إلا أنها كانت ترسل الهدايا إليه(1).

والظاهر أن دولة باتا قبل استيلاء النبهانيين عليها كانت تحكم نفسها بنفسها، بواسطة مجلس يتكون من الشيوخ والأعيان، كما جعلت لنفسها رئيساً يورث الرئاسة، حسب التقاليد السائدة كان أهالي جزيرة باتا وحدهم الذين يدينون بالولاء المباشر للحاكم، أما المدن الأخرى الداخلة في دائرة نفوذه، بما فيها الجزر المجاورة، فقد كانت تدفع له الجزية فقط، وخصوصاً عندما تتوفر لدى الحاكم من القوة ما يمكنه من ذلك، والنبهانيون أنفسهم لم يعينوا حكاماً على مناطق الجزيرة، وكان لمدينة سيو Siyu الواقعة في نفس جزيرة باتا مجلس من الشيوخ، ولم يحكمها حاكم معين من قبل باتا(2).

(1) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 46.
(2) قاسم، جمال زكريا، المرجع السابق، ص 63، زكي، عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 125.

ب- مقديشو:

وهي أشهر مدن بلاد الصومال والساحل الشرقي لأفريقيا وأقدمها، فقد كانت معروفة لدى الإغريق والفينيقيين والرومان منذ أكثر من ألفي عام، إذعرفها الإغريق باسم مدينة سيراسيون(1). تحتل مدينة مقديشو موقعاً استراتيجياً مهماً فهي تطل على المحيط الهندي، وتمثل نقطة اتصال عالمي بين شعوب عالم المحيط الهندي وأفريقيا الشرقية. وقد تأسست عام 295هـ أي قبل تأسيس مدينة كلوه بسبعين عاماً. ويعتقد أنها أقيمت على مدينة قديمة، فقد عثر في مقديشو على بقايا قبر سيدة توفيت سنة 111هـ تُدْعَى السيدة فاطمة بنت عبد الصمد ياقوت، وقد عثر كذلك على وثيقة تنسب إلى رجل يسمي إسماعيل بن عمر بن محمد جاء فيها أن هذا الرجل من بني عثمــان بن عفان وأنه نزل أو هاجــر إلى مقديشــو عام 149هـ(2).

ونجد أول ذكر لمدينة مقديشو في المصنفات العربية في أوائل القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي) حيث أشار إليها ياقوت. ولم يشر الإدريسي إلى مدينة مقديشو، والتي تأسست عام 295هـ أي قبل الفترة التي عاش بعدها الإدريسي بحوالي قرنين من الزمن، وربما يرجع سبب ذلك إلى كونه قد نقل جزءاً كبيراً من معلوماته عن بلاد الشرق الأفريقي من مصادر سابقة للفترة التي عاش فيها

(1) زكى، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 126.
(2) المرجع انفسه، ص 126.

وذكر ياقوت "إن مقديشو مدينة في أول بلاد الزنج في جنوب اليمن في بر البربر في وسط بلادهم وهي مدينة على ساحل البحر وأهلها كلها غرباء ليسوا بسودان ولا ملك لهم وإنما يدبر أمورهم المتقدمون على اصطلاح لهم"(1). كما جاء عن ابن سعيد قوله" إنها مدينة الإسلام المشهورة على ألسنة المسافرين، وهي في شرق خور بركة، حيث الطول 72 وهي على بحر الهند"(2).

وهناك مجموعة من الآراء حول التفسير الصحيح لكلمة مقديشو، واختلفت هذه الآراء كثيراً بين أن يكون هذا الاسم عربياً أو أعجمياً أو صومالياً بحتاً، فقد قيل إن "الاسم يتركب من كلمتين عربية وفارسية (مقعد، شاه) فالكلمة الأولى عربية أصيلة والثانية فارسية تعنى ملك وهي إشارة إلى المكان الذي اتخذه (شاه) الحاكم الفارسي مقراً لحكمه"(3). والرأي الآخر يري أن الاسم صومالي، وأن كلمة مقديشو بالصومالية تعني المكان الذي تتجمع فيه الأغنام للبيع. كما قيل أن الكلمة مركبة من كلمتين صوماليتين أيضاً، هما موق بمعنى (المنظر) وديشو بمعنى (تغير)، بمعني أن منظرها يختلف عن مناظر المدن الأخرى وخاصة القرى والبوادي.

---

(1) الحموي،المصدر السابق، ص 173.
(2) ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 82.
(3) الصومالي، جامع عمر عيسى، تاريخ مقديشو في العصور الوسطي والحديثة، مقديشو، 1965، ص 41.

كما قيل كذلك إن الكلمة يمكن أن تكون مركبة من كلمتين عربيتين وهما (مقعد) ويراد بها المكان و(شاة) حيث أن كلمة شاة تعني الغنم في اللغة العربية والكلمة تعنى مكان الغنم(1). وهناك من يرى أن الاسم قد يكون نسبة للمكان الذي اتخذه الشيخ مكاناً لجلوسه أي (مقعد الشيخ)(2). أما الاسم الشعبي والأكثر شيوعاً، والذي يطلقه الأهالي على مقديشو اليوم، فهو تسميتها باسم (حمر)، والذي يعتقد أنه نسبة إلى الحميريين الذين كانوا يعيشون في مقديشو منذ ثمانية قرون قبل ظهور الإسلام ويطلق اليوم اسم حمروين على أحد الحيين اللذيْن تتكون منهما مدينة مقديشو اليوم(3).

ومنذ سنة 149هـ وصلت بعض القبائل العربية من اليمن ومن العراق ومن غيرها من البلاد العربية الأخرى إلى مقديشو، وعددهم أربعون قبيلة، منهم اثنتا عشرة من القحطانية (آل فقيه) من بلد المقري بصنعاء وست من الإسماعيلية وست من العقبي وثلاث من العفيفي(4)، وكانت أكبرها قبائل الشاشيين والدرقية وآل المخزومي ثم آل الأهوال من حضرموت(5).

(1) المرجع نفسه، ص 23.
(2) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 72.
(3) شيخ، محمد حاج عمر، الحضارة الإسلامية في شرق أفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة(جامعة الخرطوم، كلية الآداب) 1981، ص 193.
(4) جوليد، مرسي أحمد،مقديشو عبر التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الخرطوم، كلية الآداب) 1981، ص 81.
(5) سالم، حمدي السيد، الصومال قديماً وحديثاً، (مقديشو، وزارة الاستعلامات) 1965، ص 35.

وفي القرون الأولى لهجرة القبائل العربية لمقديشو لم يكن لها سلطان يدير شئونها بل تخضع كل طائفة لشيخها الذي يتولىَّ أمرها، وبعد أن تغلبت هجرة الأخوة السبعة على المدينة وضعت الأسس والتشريعات التي تكفل لهم الاستقرار، فتكون من كبار العرب مجلس يضم اثني عشر عضواً، يرأسهم شيخ لا يحمل لقب سلطان أو ملك، ويسمَّى هذا المجلس (مجلس المدينة) وله كافة السلطات، والى جانبهم مجالس فرعية في كل حي من أحياء المدينة وهي في شكل طائفة تخضع للشيخ الذي يتولَّى أمرها(1). ونتيجة لاتساع المدينة وكبرها حدث ترابط بين السكان العرب والصوماليين أدىَّ إلى تطور نظام الحكم في مقديشو. فبموجب الاتفاقية التي عقدت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بين العرب والفرس من جهة وبين القبائل الصومالية من جهة أخرى تكون اتحاد من نحو تسع وثلاثين قبيلة عربية وصومالية على صورة مجلس من الأشراف وأعيان القبائل للنظر في أمور البلاد بعد أن أصبحت مقديشو عاصمة لساحل البنادر(2).

(1) أمين، محمد محمد،تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطي،(القاهرة، د.ن)1977،ص37.
(2) المرجع نفسه، ص 73.

واستمر نظام الحكم الجديد المتمثل في الشورى بين العرب والفرس والصوماليين نحو ثلاثة قرون حتى تم انتخاب أبي بكر فخر الدين حاكماً على البلاد بتعضيد من بني قحطان وذلك حوالي سنة 495هـ (1100م)(1). وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) زار ابن بطوطة ساحل شرق أفريقيا، وتحدث بشيء من التفصيل عن مدينة مقديشو وغيرها من مدن الساحل التي تحولت بفعل الزمن من مراكز تجارية إلى مدن إسلامية كبيرة ذات ثروة وشهرة واسعة، فوصفها قائلاً "إنها مدينة متناهية في الكبر وسكان مقديشو يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمر، وهو في الأصل من البرابرة، وكلامه بالمقديشي ويعرف اللسان العربي" ثم تحدث عن ثراء مقديشو وصناعاتها ورسوم السلطة فيها وغير ذلك"(2).

وفي نهاية القرن (الخامس عشر الميلادي) مر بمقديشو الرحالة البرتغالي فاسكو دي غاما في طريق عودته من كاليكوت بالهند في المرة الأولى فقال عنها "إنها كبيرة وجميلة باذخة تحيط بها الأسوار وأن مبانيها باسقة وسفنها الراسية في مرفئِها لا يحصيها العدو وعندما جاء إليها الغزاة لاحتلالها وتخريبها وجدوها وثيقة التحصين والمنعة مما اضطرهم للعدول عن نيتهم"(3).

(1) المرجع نفسه، ص 73. سالم، حمدي السيد، المرجع السابق، ص 356.
(2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 253-254.
(3) جيان، المصدر السابق، ص 322.

والروايات البرتغالية توضح أصل تأسيس مدينة مقديشو اعتماداً على روايات محلية. وتقول الروايات أن جماعة كبيرة العدد من العرب أصلها من مدينة مجاورة للأحساء على الساحل الغربي للخليج على مقربة من البحرين نزلت في ثلاث سفن بقصد الهجرة بزعامة سبعة أخوة فروا من جور حاكم الأحساء وهبطت تلك الجماعة الساحل الشرقي لأفريقيا(1)، وكانت مقديشو أول مدينة عربية تأسست في هذا الساحل، ثم تلتها براوة، وعندما وفد البرتغاليون إلى مقديشو في النصف الأول من القرن السادس عشر كان يحكمها اثنا عشر شيخاً يبدو أنهم من سلالة الأخوة السبعة الذين أسسوها.

ومن خلال ما ذكره الرحالة والجغرافيون العرب والمسلمون يمكن الوقوف على جملة من الأمور التي توضح التطور الحضاري لمدينة مقديشو. فيمكن القول أن مدينة مقديشو هي من أشهر مدن الساحل الشرقي لأفريقيا، فقد عرفتها جميع شعوب وأمم العالم التي مارست النشاط التجاري في عالم المحيط الهندي. وهي تمثل مركزاً اقتصادياً كبيراً ومهماً على الساحل الأفريقي، فقد كانت التجارة تمثل العمود الفقري لاقتصاد هذه المدينة،

(1) قاسم، جمال زكريا، المرجع السابق، ص 59.

بل هي شريان الحياة الذي جعلها تستمر وتتطور. وقد ذكر ابن بطوطة "أن سكان مقديشو إلى جانب ممارستهم النشاط التجاري كانوا يمارسون تربية الحيوانات فقد كانت لديهم أعداد كبيرة من الأغنام والإبل التي ينحرون منها المائتين في اليوم، كما ذكر أن أهلها أقوياء(1). ويشير ياقوت إلى صادرات مقديشو والتي كانت تحمل إلى غيرها من البلدان مثل الصندل والأبنوس والعنبر والعاج(2)، كما أشار إلى أن سكان مقديشو غرباء ليسوا بسودان ولا ملك لهم، وهي إشارة تعني أن سكان مقديشو جاءوا إليها مهاجرين من أماكن مختلفة، غير أنه لم يحدد أصولهم(3)، كما قال عنها : إنها مدينة الإسلام الشهيرة، وهذا يعني أن الهجرات العربية الإسلامية التي نزلت مقديشو قد صبغتها بالصبغة العربية الإسلامية(4).

جـ زنجبار*:

تقع زنجبار في منطقة المحيط الهندي في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أفريقيا على خط عرض 6 جنوباً وتبعد زنجبار عن ساحل شرق أفريقيا نحو 46 كيلومتراً ويبلغ طولها نحو 92 كيلومتراً وعرضها نحو 44.5 كيلومتراً

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 253.
(2) الحموي، معجم البلدان، مج3(بيروت، دار صادر)، د.ت، ص173.
(3) المصدر نفسه، ص 173.
(4) المصدر نفسه، ص 173.
(*) أطلقت زنجبار قديماً على بلاد المنطقة الساحلية في شرق أفريقيا، وفقدت تدريجياً مضمونها الفسيح، وصارت تعرف به اليوم الجزيرة الصغيرة فقط، انظر: زكي، عبد الرحمن ، الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلد 21(القاهرة)1974،ص79.

ومساحتها الإجمالية نحو 1183.3 كيلومتر مربع، ويحد جزيرة زنجبار من الشمال جزيرة بمبا ومن الشمال الغربي كينيا ومن الشرق تنجانيقا ومن الغرب والجنوب المحيط الهندي(1).

معظم سكان زنجبار من المسلمين، يتبعون مذهب الشافعي، واللغة التي تسود فيها هي اللغة السواحيلية، وهي لغة أفريقية في مبناها عربية في مفرداتها. وقد عرف العرب زنجبار قبل الإسلام بأعوام طويلة، واستمر ترددهم عليها بعد ذلك، ولا سيما منذ القرن الثامن الهجري. وقد هاجر إليها الكثير من العرب وأسسوا فيها عدة مدن وبنادر على ساحل أفريقيا الشرقي. ويقدر أتباع المذهب الشافعي بحوالي 90% من مجموع السكان (حوالي 325000) منهم أهل السنة ومنهم الشيعة، والإسماعيلية، والاباضية (الذي كان مذهب الأسرة الحاكمة وبعض علية القوم)، والمساجد كثيرة ولكل طائفة من الطوائف مساجدها الخاصة، وجمعياتها التي ترعي شئونها ومدارسها أيضاً وكُتّابها لتحفيظ القرآن، ويوجد في جزر زنجبار بعض الآثار الفارسية والشيرازية وتدل مخلفاتها على أنها كانت لمبان شيدت بالحجارة، وأهمها بعض المساجد الكبيرة

(1) شويقة، فاروق عبد الجواد، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا،رسالة دبلوم(القاهرة، كلية الآداب، معهد الدراسات الأفريقية) 1960، ص ص 12-19.

وخاصة المسجد الذي كان في قرية كيزمكازي في جنوب جزيرة زنجبار،وتشهد عمارته على أنه شيد على الطراز الشيرازي وقد احتوي على نقوش كوفية بديعة حول المحراب يستدل منها على أنه شيد عام 500هـ 1107م(1).

والجدير بالذكر أن زنجبار كانت تستند في أصولها التاريخية إلى دولة الزنج(وهذا الاسم كان يطلق على سلطنة كلوه) التي اتخذت من كلوه عاصمة لها، مع التسليم بوجود فارق كبير، وهو أن زنجبار كانت سلطنة عربية أفريقية بينما كانت دولة الزنج تعود بأصولها الأولى إلى فرس شيراز أي أنها كانت أصلاً دولة فارسية إسلامية(2)، ومن هنا يمكن أن نلاحظ تلك التسمية التي أطلقت على الساحل الذي كانت تشغله هذه الدولة، وهو زنجبار، أي ساحل الزنج، من الفارسية بار بمعنى ساحل، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو إلى أي مدى أثر الفرس الشيرازيون في الساحل الشرقي الأفريقي وزنجبار في عهد دولة الزنج، أو بمعني آخر لمن كان التفوق في عصر تلك الدولة، العرب أم الفرس؟ حقيقة لا يمكن إنكار ما تركه الفرس الشيرازيون من تأثير كبير في الفن المعماري وفي الأدب السواحيلي وفي طريقة الملبس أو المأكل أو مظاهر الحضارة المختلفة، وقد استمر ذلك التأثير قائماً حتى في عهد سلطنة زنجبار

(1) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 114.
(2) Arthurstrong: History of Kilwa A report on Zangibar Dominions,1960, p. 399.

كما استمر وفود الفرس للإقامة في ساحل شرق أفريقيا، وحرص السيد سعيد بن سلطان مؤسس سلطنة زنجبار أن يتزوج من أميرة فارسية ويأتي بها لتقيم معه في زنجبار وقصد بهذه الزيجة توطيد مركزه أمام رعاياه الفرس الذين تنتظمهم الدولة العربية الجديدة(1)، وإذا كان هناك تأكيد على إسهام الفرس مع العرب في الاستقرار على الساحل فإنهم مع ذلك لم يساهموا بالقدر الذي ساهم به العرب في التأثير الحضاري على الساحل الشرقي الأفريقي، ويبدو انه بسبب سريان العنصر الشيرازي فيهم باتت لهم تقاليد بانتو-إسلامية (هم الذين يطلقون على أنفسهم الآن الشيرازيون Washirazi) وكان لهم رئيس يطلق عليه Mfalme ولقبه Mwinyi (2).

وقد تغلغلت مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية في زنجبار وتمثلت في التأثير الديني فأصبحت الأشعار والقصص المتداولة إحدى الوسائل التي تحث عامة المسلمين على القيام بالواجبات الأساسية لعقيدتهم الإسلامية(3).

(1) قاسم، جمال زكريا، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية) 1975، ص ص 70-71.

(2) المرجع نفسه، ص 71.

(3) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص302.

وكذلك المباني الجميلة المبنية والمشيدة على الطراز العربي والهندي، وقد أبدع الفنانون في تجميلها وزخرفتها وزينوا المساجد والقصور والتحف الجميلة، كما زينوا الأبواب والشبابيك بالرسومات الجميلة(1).

وتتميز زنجبار بأهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة لوفرة الموارد الاقتصادية وقربها من الساحل الشرقي لأفريقيا ومناخها يمتاز بالاعتدال ووفرة المياه العذبة وتربة خصبة صالحة للزراعة(2)، كما أنها جزيرة لها أهميتها الكبرى باعتبارها وسيطاً للتجارة وعمليات التبادل التجاري لأقاليم ساحل شرق أفريقيا فضلاً عما تتمتع به الجزيرة وغيرها من جزر وأقاليم الساحل من موارد متنوعة وكثيرة(3)، كما أن زنجبار تتميز بعمق مياه موانيها مما يجعلها صالحة لرسو السفن الضخمة(4).

وقد أتاح الموقع الاستراتيجي لجزيرة زنجبار أن تكون في أمان من الغزو الخارجي، لاسيما من قبل القبائل الأفريقية المناوئة(5).

---

(1) محمود، حسن، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا (القاهرة مطبعة النهضة) 1963، ص 34.

(2) المعمري، احمد محمود، عمان وشـــرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، (عمان، وزارة التراث القومي والثقافة) 1980، ص 73.

(3)Ethel Younghusband: Glimpses of East Africa and Zanzibar, (London, 1908), p 233.

(4) هولينجز ودرت ل.د.، زنجبار(1890-1913)، ترجمة وتعليق حســـن حبشـــي(القاهرة، دار المعارف)، 1968، ص 5.

(5) محمد، سـميحة إبراهيم، دولة زنجبار الحديثة في عهد السـلطان سـعيد بن سـلطان، ط1(ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية) 2000، ص 160.

د- سفالة* :

تعد سفالة أقدم الموانئ على الشاطئ الأفريقي، قصدها العرب للمتاجرة بالذهب وقد استوطنها جماعة من المسلمين جاءوا إليها من فارس (شيراز) وازدهرت أثناء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وكانت في الواقع مركز الدفاع الأمامي لسلطنة كلوه. وكانت هذه الناحية والمدينة أقصى ما وصل إليه العرب على الساحل الشرقي، ذكرها المسعودي قائلاً "إن بلاد سفالة هي أقاصي بلاد الزنج وأنها بأسفل بحر الزنج وتتاخم بلاد الواق واق(1)، وذكرها في موضع آخر على أنها "آخر حدود البلاد التي كانوا ينزلونها، وغاية مقاصد السفن القادمة إلى عمان وسيراف، وهي بلاد تنتج التبر بكثرة وتنتج غيره من العجائب، ومناخها دافئ وتربتها خصبة، وقد أقام فيها الزنج قصبة بلادهم"(2). وقد ذكر ياقوت سفالة قائلاً "إن سفالة آخر مدينة تعرف بأرض الزنج ، والحكاية عنهم كما حدث في بلاد التبر بأرض جنوب المغرب من أنهم يجلب إليهم الأمتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شيء عنه ويقال لها (التجارة الخفية)"(3).

(*) كان إقليم سفالة يمتد على الساحل الأفريقي فيما يلي مصب نهر ميز جنوباً وقد اختلف في أصل تسمية هذا الاسم، وكتبه ابن ماجد الملاح العربي : أرض السّفالة.

(1) المسعودى،المصدر السابق، ص 113.

(2) المسعودى، المصدر نفسه، ص 422.3

(3) الحموي، المصدر السابق، ص 250.

وقال ابن الوردي في كتابه فريدة العجائب وفريدة الغرائب عن سفالة الذهب إنها تجاور أرض الزنج، وهي أرض واسعة بها جبال فيها معادن الحديد(مناجم) ولكن معادن سفالة أطيب وأصح وأرطب، والهنود يصنعونه فيصير فولاذاً قاطعاً، ومن عجائب أرض سفالة أن بها التبر الكثير ظاهراً، زنة كل تبرة مثقالان وثلاثة وأكثر، وهم مع ذلك لا يتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه على الذهب، وأرض سفالة متصلة بأرض واق الواق(1). وقد وصف ابن ماجد طريقة السير إلى الجنوب قاصداً سفالة الزنج بقوله :

وإنْ تُرِدْ مِنْ كَلْوهْ سفالةْ فديرةُ البِّد إذنْ مُحالةْ

إلا انه قبل الوصول إلى آخر بلاد الزنج سفالة يذكر عدداً من الجزر التي تكون في طريقه على الشريط الساحلي، منها جزيرتان هما ومنرى وسنجاني، وهما جزيرتان أهلهما مسلمون كما يقول ثم يتجه إلى مدينة سفالة(2) ليدخلها عن طريق خور كوامة حيث يقول :

---

(1) ابن الوردي، المصدر السابق، ص 1340.
(2) ابن ماجد، احمد، ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكي، ترجمة وتعليق محمد منير مرسي(القاهرة، عالم الكتب) 1969، ص 38.

وَحُطَّ للصباحِ تَلْقَى البابا وَحْولَها أشابرُ أَخشابا

يأتوك سمّاكو ذاكَ الَّطرَفِ تَدخُلْ سَفالةً بِذا فاَعْتَرِفِ(1)

ومن سفالة يتجه ابن ماجد إلى جزر القمر وبر الهند وسيلان وسومطرة وبر الهند وسيام ومعلقة وجاوة وما في طريقهم من الجزر والشعاب، وله في ذلك أرجوزة أخرى مسماة بالمعلقية(2).

وقد بلغ من عمران سفالة أن الفيلة أخذت تهجرها، ويقول أهل البلاد انه يهلك من الفيلة كل عام أربعة آلاف فيل أو خمسة آلاف، وهذا هو السر في تلك المقادير العظيمة من العاج التي ترسل إلى الهند، واقرب مناجم الذهب في مفكة على مسيرة 50 فرسخاً تقريباً غربي سفالة(3).

(1) ابن ماجد، احمد، المصدر السابق، ص 40.
(2) ابن ماجد، احمد، المصدر نفسه، ص 53.
(3) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 85.

والذهب الذي يجمع منها تبر أو ركائز، وهو على عمق ست أو سبع راحات (حوالي 6:5 أقدام) وأبعد المناجم على مسيرة من 100 إلى 200 فرسخ من سفالة، ثم أنه توجد قلعة شيدت من الحجارة المنحوتة وهي متقنة البناء وشيدت من حجارة ضخمة إلى حد عجيب، وقد ركبت بعضها فوق بعض من غير بلاط، ويربي سمك جدار القلعة على 28 راحة (23 قدماً) وارتفاعه لا يتناسب مع عرضه. كانت سفالة الثغر الوحيد في شرق أفريقيا الذي يصدر الذهب، ثم أخذ التجار يتجهون تدريجياً جنوب الشمال إلى كولمانة شمالي نهر زمبيزي(1). ويبدو أن سفالة القديمة كان لها شأن عظيم إذا حكمنا بأطلال الدور الرحبة التي تدل على رفاهية أهلها وقد هجرها أهلها فيما بعد وأعيد بناؤها في الأراضي المجاورة للمدينة القديمة.

هـ كلوة **Kilwa** :

لعل من المفيد أن نذكر ما كتبه بن بطوطة عن هذه المدينة فقال" إنها مدينة عظيمة ساحلية، أكثر أهلها من الزنوج ولهم شرطات في وجوههم، وقد ذكر لي بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من كلوه، وأن بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين مسيرة شهر، ومن يوفي يؤتى بالتبر إلى سفالة"(2)،

(1) Hichena, Islam in East Africa, p. 210.

(2) ابن بطوطة، شمس الدين محمد بن إبراهيم، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر) 1964، ص 257.

كما ذكر "أنها من أحسن المدن وأتقنها عمارة، وكلها بالخشب، والأمطار بها كثيرة. وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزنوج، والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب"(1). وتعتبر كلوه من المدن التي شيدها العرب على الساحل الشرقي، واتخذوا منها مرفأ للسفن، ولكنها لم تكن أقوى مدن الساحل فحسب بل إنها كانت أوفرها حضارة، لذلك أثرت كثيراً على تجارتها(2).

ولما كان مؤسسو كلوه الأوائل من الشيرازيين فلا غرو أن يكون لهم تأثير كبير على نمط الحضارة الذي ازدهر هناك، وكانت حضارتها ذات مظاهر فارسية قديمة. وقد أدخل الشيرازيون أساليبهم في البناء وفن النقش على الخشب ونسج القطن، وشيدوا عدة مساجد ومبان جميلة الطراز، ومازالت بعض مخلفاتها باقية إلى اليوم ومن أهم خصائص تلك المباني استخدام العقد المحدب والحجر المنحوت وتناسق الأعمدة والقباب الصغيرة، وقد عثر في الحفائر الأثرية على قطع صغيرة من الخزف الصيني القديم وبقايا أوان من السوري والعربي، وعلى قطع من الحلي الذهبية. وتناول المسعودي، الذي زار ساحل الزنج في القرن العاشر الميلادي، وصف البلاد وأحوال أهلها(3)

(1) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص258

(2) زكي، عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص 79.

(3) المسعودى، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1(بيروت، دار الأندلس) 1984، ص121

ويحتمل أن يكون قد مر بتلك البلاد حوالي عام307هـ (919م) وللمرة الثانية.

وقد وصف الإدريسي بلاد الزنج، وذكر أن الساحل أجمع كان يعيش في ممبسة وأن أهالي مقديشو وبروة ومركة كانوا مسلمين(1). وقد أخطأ الإدريسي في ترتيب مواضع بلاد الزنوج، وفي تعيين أسماء الجزر الكثيرة المقابلة للشاطئ الأفريقي، وكذلك أخطأ في أبعاد المسافات التي تفصل بين كل بلدة وأخرى، وقد نسي ذكر مدينة كلوة، وكان تأسيسها سابقاً على عصر الإدريسي بمائتي سنة تقريباً وكانت جزر بمبا وزنجبار تابعة لها، وكان بيانه خالياً من مدينة مقديشو في حين أنه ذكر مدينتي مركة وبراوه التابعتين لها(2).

ويعد ما كتبه ابن بطوطة الذي قام برحلة من طنجه عام 934 لتأدية فريضة الحج من أهم المراجع عن بحر الزنج وبلدان شرقي أفريقيا في العصر الوسيط، فقد زار هذا الرحالة المغربي مقديشو وقابل سلطانها، كما زار مدينة كلوه، وقال عن الأولى إنها مدينة كبيرة يقطن فيها السلطان،واسمه أبو بكر ابن الشيخ عمر،

(1) الادريســـي، أبو عبد الله، نز هة المشــتاق في اختراق الآفاق، (ليدن، نشــرة دوزي ودي غوبة) 1966، ص 240.

(2) الإدريسي، المصدر نفسه، ص 241.

وقال عن ممبسة إنها جزيرة كبيرة بينها وبين أرض الساحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها، وأشجارها الموز والليمون وأكثر طعام الأهالي السمك والموز والقمح ويأتي لهم من الخارج لأنهم لا يزرعونه، وهم شافعيون يعنون بأمور دينهم، ويشيدون المساجد من الأخشاب المتينة(1).

وبعد أن زار ابن بطوطة ممبسة ركب البحر إلى مدينة كلوة، ويحكم كلوة السلطان أبو المظفر حسن، وقد كان في قتال دائم مع السكان المجاورين وعرف بتقواه وإغراقه في الصلاح كما كان محسناً وكريماً، وهناك مكانان ساحليان يحملان اسم كلوة في دويلات الزنج: الأول للجزيرة المسماة كلوكبسيبواني، والثاني بلدة كلوة كيفنجي التي تقع على الساحل شمال الأولى، وقد كانت الجزيرة أول قطعة من الأرض فيها حسن بن علي في عام 957م(2).

وقد خلف حسن ابنه على حكم البلاد نحو أربعين سنة، وفي أثناء حكمه نصب ابنه علي في حكم ممبسة، وبعد وفاته اعتدى الأهالي، ومعظمهم من الوثنيين، على الجزيرة ودانت لهم، فاضطر السلطان إلى الفرار إلى زنجبار،

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 259.
(2) المصدر نفسه، ص 259.

ولكن ما لبث رعاياه أن استعادوا الجزيرة وطردوا المعتدين، ومن ثم عاد السلطان إلى كلوة ودام حكمه فيها نحو **14** سنة. وتتابع على حكم كلوة نحو **29** من السلاطين كان آخرهم فضل ابن سليمان وهو السلطان الذي جاء البرتغاليون في أيامه عندما انتقلت السيادة إليهم(1).

3- النظم السياسية والإدارية العربية الإسلامية في شرقي أفريقيا:

تأثرت دول شرق أفريقيا بالنظم الإدارية والقضائية العربية الإسلامية. وكان التأثير السياسي متمثلاً في خلق التوازن في بيئة جديدة تحاول التوفيق بين النمط الإسلامي والأنماط الأفريقية، وكذلك خلق انسجام بين عناصر السكان المختلفة، لذا كان من الطبيعي أن يتوفر في دول ساحل شرق أفريقيا نظام إداري وقضائي ينظم العلاقات بين الفئات المختلفة من السكان وكان على النحو التالي :

النظام الإداري : "إن أهم ما يميز النظام الإداري في مدن الساحل الشرقي الأفريقي هم المساواة الكاملة بين جميع الطوائف التي تشكل السكان، وعدم التعصب لسلالة أو فئة معينة تميزها عن الفئات الأخرى في الحقوق والواجبات، ولم يكن هناك فرق بين العرب وبين بقية السلالات العرقية الأخرى"(2).

(1) حسن، حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 210.
(2) قاسم، جمال زكريا، الدولة العمانية في سرق أفريقيا، ندوة الدراسات العمانية (عمان، وزارة التراث القومي والثقافة)، 1980، ص 116.

النظام القضائي: كان النظام القضائي يتسم بالبساطة أسوة بالنظام الإداري، ولم تكن هناك محاكم بالمعنى المفهوم، وكان القرآن الكريم المصدر الوحيد للتشريع والأحكام القضائية، وكانت للشهادة الأهمية القصوى في الإثبات، وكانت المظالم ترفع إلى السلطان أو إلى من ينوب عنه في حال غيابه، وأحياناً يوكل لأحد أبنائه أو نوابه حل القضايا الأقل خطورة، أما القضايا العادية والتي تخص الدين والشريعة فإنه يتركها للقضاة الذين يتم تعيينهم في الأقاليم التابعة لدول ساحل شرق أفريقيا(1).

وينبغي أن نشير هنا إلى أنه كان للأحداث السياسية الخطيرة التي مر بها العالم الإسلامي تأثيرها البالغ في هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا ومن ذلك سقوط الدولة العباسية على أيدي المغول أو غزو تيمورلنك لفارس، إذ أدت هذه الأحداث إلى زيادة موجات الهجرة العربية والإسلامية حتى أصبح ساحل شرق أفريقيا المنطقة المألوفة بالنسبة للمهاجرين المسلمين الذين طردوا أو أجبروا على الهجرة من موطنهم نتيجة الأزمات الدينية أو السياسية التي تعرضوا لها(2). ولذا شهد الساحل الشرقي لأفريقيا قيام كثير من الإمارات والمدن العربية الإسلامية، وكثر عدد العرب المهاجرين إلى الساحل واستقرارهم الدائم فيه(3).

---

(1) محمد، سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 64.

(2) قاسم، جمال زكريا، استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، بحث منشور في حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، العدد العاشر، 1966، ص 55.

(3) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 7.

فإذا تناولنا مثلاً الحياة السياسية في إقليم الزيلع "الطراز الإسلامي" الذي يعد ضمن أقاليم المملكة الحبشية، وهو القسم الإسلامي ويضم عدة إمارات، وتعد إمارة أوفات أكبرها، وهي التي تزعمت قيادتها مكونة حلف إسلامي تصدى للدولة السليمانية(1). فقد تولَّى حكم هذه الدولة في معظم فتراتها ملوك أقوياء، دعموا الأمن والاستقرار استعداداً للتوسع على حساب الإمارات الإسلامية، مثل الملك إسحاق بن داوود الذي سعى إلى أخذ ممالك الإسلام(2) بزيادة الاستعداد العسكري وإدخال العديد من أنواع الأسلحة الجديدة(3) وبالتدريب المنظم عليها. والجدير بالذكر أن أحد المماليك، ويدعي الطنبغا قد ساهم في ذلك أثناء حكم الملك اسحاق بن داوود عندما ترك ولايته في مدينة قوص من بلاد الصعيد ثم فر إلى الحبشة واتصل بالحاكم هذا وعلم اتباعه لعب الرمح ورمي النشاب وغير ذلك من أدوات الحرب(4).

(1) العمري، المصدر السابق، ص 18، المقريزي،المصدر السابق، ص 6.
(2) المقريزي، المصدر السابق، ص 838.
(3) لمزيد من المعلومات عن أسلحة الأحباش، انظر :، مقال زهران رياض، الفرسان والفروسية في أثيوبيا، مجلة كلية الآداب، مج9، 1957، ج1، ص ص 263-290.
(4) المقريزي، المصدر السابق، ج4، ص 838.

وبذلك يتخذ الجانب السياسي شقين، تمثل الشق الأول في قوة الدولة السليمانية واتخاذها سياسة خاصة وعلى مراحل للقضاء على الإمارات الإسلامية، وكذلك سياستها مع المماليك التي اتخذت هي الأخرى ثلاث مراحل تمثلت أولهافي الخضوع والالتماس، مروراً بمرحلة الاستخفاف والسخرية منهم، وتوجت المرحلة الثالثة بالتهديد واستخدام القوة مباشرة ضدهم، أما الشق الثاني فكان متمثلاًفي ضعف الإمارات الإسلامية وعدم اتخاذها سياسة موحدة لمواجهة الخطر الحبشي المسيحي، إضافة إلى عدم وضوح سياسة المماليك تجاهها. وفي الساحل الممتد جنوب باتا وهو ما يقابل كينيا حالياً كانت سلطة الحكومة المركزية أشد ثباتاً منه في أية منطقة أخرى نسبة لأن القبائل التي كانت تسكن وراء هذا الساحل إما أنها مسالمة مثل قبائل الوانكا المجاورة لممبسة والخاضعة مباشرة لحكومة زنجبار، أو قبائل شديدة البأس ولكنها تسكن المرتفعات ولا تنزل إلى الساحل. ومع ذلك فقد ذكر كرايف "أن قبيلتي ميزاي وكوافي كانتا تنزلان أحياناً إلى الساحل فتبثان الرعب في قلوب السكان السواحيليين" (1).

(1) Lewis, Krayf, Travels, Research and Missionary Labour Eighteen Years Residence in Eastern Africa (London), 1860, p. 180..

ومن المفيد الإشارة إلى أن الاختلاط السكاني والحضاري والتمازج العرقي قد وصل بين العرب الوافدين والسكان الأفارقة في ساحل شرق أفريقيا إلى درجة الانصهار في مدن ساحل شرق أفريقيا، وأن العوامل السياسية قد تضافرت منذ فترة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام حتى قبيل تأسيس دول الساحل الشرقي الأفريقي عندما تم وضع الأساس المتين للعلاقات الطيبة بين العرب والأفارقة في تلك البقاع. ولعل المؤثرات العربية الإسلامية وانتشارها في ساحل شرق أفريقيا وما وراءه قد تم منذ مطلع التاريخ الميلادي، وظل يتصاعد مداه بعد ظهور الإسلام، حتى وصل ذروته في ظل مدن الساحل الشرقي الأفريقي. ويُلحَظ أن هذا الاتصال قد مر بمرحلتين، تمثل المرحلة الأولى إفادة عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، من أهل عمان واليمن وحضرموت، من حركة الرياح الموسمية منذ أقدم العصور واتصالهم تجارياً بالوطنيين الأفارقة والمقيمين في ساحل شرق أفريقيا، إذ أصبحوا أكثر معرفة بأحوال هؤلاء الأفارقة قبل غيرهم من الأمم الأخرى مما مكنهم من السيطرة على التجارة الشرقية، أما المرحلة الثانية فظهرت بمجيء الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية. وقد أدت الثورات والفتن والصراع على السلطة بعد فترة الخلفاء الراشدين،

وكذلك الظروف المناخية كالقحط والجفاف إلى ازدياد الهجرات العربية من عمان واليمن وحضرموت، إذ تمكنت هذه الهجرات من إحداث تأثيرات جوهرية في حياة الوطنيين الأفارقة في المجالات السياسية، كما أنشأ العرب المهاجرون سلطنات وإمارات ومدن على طول الساحل الشرقي الأفريقي، وقد تميزت أوضاعها بالمساواة بين جميع الرعايا وعدم التعصب لأية فئة وخلق مناخ مناسب للانصهار العرقي، كما تفاعل سلطان كل دولة من دول الساحل الشرقي الأفريقي مع الأوضاع المحلية لفض نزاعاتهم وفقاً للعرف والعادة، وقد ساعد ذلك على امتداد رقعة الدول بالساحل الشرقي الأفريقي لما وراء هذا الساحل. وقد اهتدت هذه الدول بالتشريع الإسلامي للحكم بين الرعايا المسلمين، وأدت سماحة الإسلام إلى اعتناق عدد كبير من القبائل الأفريقية الإسلام، وأثر ذلك على نظام الأسرة والميراث، وخاصة نظام الوراثة عن طريق الأمومة الغالب على كثير من الشعوب الأفريقية.

فالعلاقات الداخلية تمت بصورة هادئة وفي جو من الوفاق يسمح بالأخذ والعطاء بين العرب الوافدين وبين الأفارقة المحليين.

الفصل الخامس
المجتمع الإسلامي في شرقي أفريقيا
424-656هـ / 1129-1258م

الفصل الخامس

المجتمع الإسلامي في شرقي أفريقيا

يمكن القول أنه في ظل الإسلام أصبحت بلاد الشرق الأفريقي امتداداً جغرافياً وتاريخياً وثقافياً للوجود العربي الإسلامي. وقد أشار معظم المؤرخين والجغرافيين العرب الذين كتبوا عن بلاد هذه المنطقة إلى وجود جاليات وجماعات عربية إسلامية كبيرة في تلك الأرجاء ابتداءً من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عندما ذكر المسعودي أنه في مدن زيلع وباضع ودهلك خلق من المسلمين(1)، وقال أنه بعد ظهور الإسلام سكنت جماعات من المسلمين منطقة يقال لها (معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب)، وبين قبائل البجة سكنت قبائل ربيعة بن معد بن نزار بن عدنان ومن قحطان وغيرهم من معد بن نزار، هذه القبائل اختلطت بالبجة وتزاوجت معهم ونشرت الإسلام بينهم(2)، والقبائل التي كانت تنزل في ساحل أفريقيا بين الهضبة الحبشية وبين ساحل البحر الأحمر، مثل قبائل البجة والاعفار وقبائل الصومال

(1) المسعودي، المصدر السابق، ج1، ص 439.
(2) المصدر نفسه،ج1، ص 438.

وقبائل الجالا، كانوا من البدو وتأثروا بالعرب الذين استقروا في منطقة الساحل وتعلموا منهم الإسلام ثم عملوا على نشره في موجات متعاقبة(1). وفي منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) يذكر ابن حوقل أن البجة أمة كانت وثنية تعبد الأصنام وأسلمت أكثر البجة سنة إحدى وثلاثين هجرية عندما فتح عبد الله بن أبي السرح مدينة أسوان(2). وتحدث ابن بطوطة عن بعض المدن باعتبارها مدناً إسلامية خالصة، فهو يذكر مثلاً أن أهل زيلع شافعية المذهب وتحدث عن مقديشو وعن تقاليد السلطة ورسومها فيها وهي مصبوغة بصبغة إسلامية(3). كما ظهرت في بلاد الشرق الأفريقي دول الطراز الإسلامي وهي التي عرفت ببلاد الزيلع. وهكذا فعن طريق الهجرة والتجارة انتشر الإسلام في بلاد الشرق الأفريقي، وتحولت مدن الساحل إلي منارات علمية تشع فيها روح الحضارة العربية الإسلامية، كما غلب الطابع الإسلامي على ثقافتها وارتبطت بلاد الشرق الأفريقي بالعالم العربي الإسلامي برباط الدين واللغة والثقافة. وفيما يأتي نتناول كيف أسهم انتشار الإسلام في ظهور الجنس السواحيلي، وكيف تأصلت حياة المجتمع الإسلامية، وحدث التأثير الاجتماعي في العادات والتقاليد وقد ساهمت بشكل كبير في تماسكه الاجتماعي والحضاري:

(1) محمود، حسن احمد، الثقافة العربية في أفريقيا، ط3، (القاهرة، دار الفكر العربي) 1986، ص 66.
(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 79.
(3) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 120.

1- الإسلام وظهور الجنس السواحيلي:

إن القبائل التي أقامت على طول السواحل الشرقية بأفريقيا قد تأثرت كثيراً بالعرب واختلطت بهم وأدى ذلك إلى القضاء على النظام القبلي ونشأة المجتمع السواحيلي(1). ويكوِّن سواحيليو الجزر والخلجان الساحلية مجتمعاً برز إلى الوجود كمجتمع إسلامي، علماً أنه نما أساساً بتزايد شعوب البانتو أكثر مما نما وتزايد بسبب تجمع المهاجرين، مما جعل السواحيليين ينتمون إلى عنصر البانتو أكثر من انتمائهم إلى العرب، وعلى الرغم من ذلك فإن أوجه حياتهم المختلفة وتركيبهم الاجتماعي يقوم أساساً على الثقافة العربية الإسلامية، ولا نجد صراعاً بين ثقافة البانتو والثقافة الإسلامية في حياتهم الاجتماعية، فالقانون الإسلامي هو السائد عندهم في المجالات نفسها التي تسود في أي مجتمع إسلامي، ولكن الوضع يختلف بالنسبة لانتشار الإسلام بين البانتو في الداخل، فلقد كان للتشريع الإسلامي تأثيرُ عميق، بل إنه ساعد على إعادة توحيد بعض المجتمعات القريبة من الساحل

(1) Bulin ,The Arab Role in Africa, Belguim S.E., 1962, p. 112.

والتي كانت تفرقت بسبب غارات تجار العبيد، إلا أن الغالبية منهم قبيلة واحدة وهي الباو التي اعتنقت الإسلام وآمنت به تماماً. فقد كان هناك صراع بين قوانين البانتو الاجتماعية وبين ما أتت به الشريعة الإسلامية(1)

وقد انقسمت البانتو إلى ثلاث مجموعات الشرقية والجنوبية والغربية، بينما انقسم البانتو الذين أقاموا في أفريقيا الاستوائية الشرقية إلي مجموعتين أساسيتين هما: القبائل التي خضعت للتأثير الحامي فضلاً عن قبائل لم تخضع لذلك التأثير(2)، أما عن البانتو الشرقيين غير الخاضعين للتأثير الحامي فقد انقسموا إلى مجموعتين إقليميتين هما: البانتو الشرقيين الذين احتلوا دواخل دولة تنجانيقا، وقد عاشوا محاطين ببعض قبائل البانتو الشرقيين الأخرى، ومن أهم هؤلاء وامنامويزي وأصبحا. وقد لعبت دوراً بارزاً في التاريخ الحديث لشرقي أفريقيا. وقد نتج عن امتزاج العرب بالإفريقيين ظهور ثقافة مميزة المعالم، فقد استقرت السواحيلّية لغة قائمة بذاتها مزيجاً من اللغة العربية

(1) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 245.

(2) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 42.

وما كان لدى الأفريقيين من مفردات. والكلمة نفسها تدل علي ذلك فهي تنسب اللغة إلى الساحل، وإن كان هذا لا ينفي وجود اللغة العربية لغة قائمة بذاتها باعتبارها لغة الأرستقراطية الحاكمةِ، وخاصة بعد أن استكملت السلطنة العربية مقومات وجودها في زنجبار(1).

واللغة السواحيلية لغة مبسطة تعتمد في معظم مفرداتها علي لغة البانتو، وإن كانت أسهل منها من حيث التركيب، إذْ تتضمن الكثير من المفردات العربية لاسيما الألفاظ المستعملة في الشئون التجارية. ويقدر "رويش"، وهو أحد المتخصصين في اللغة السواحيلية وتاريخها نسبة المفردات العربيةمن 25-50%. وتكتب السواحيلية بحروف عربية وأدبها متأثر بالأنواع الأدبية عند العرب، ولكن لم تتح لهذه اللغة فرصة التطور والنمو، لأن اللغة العربية ظلت هي اللغة الرسمية لإمارات الساحل وإن قيل أن دولة الزنج اتخذت السواحيلية لغة خاصة بها(2).

(1) قاسم، جمال زكريا، المرجع السابق، ص 60.
(2) النقيرة، محمد عبد الله، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ط2(الرياض، دار المريخ للنشر) 1982، ص 120.

وللعناصر المتنوعة المكونة للمجتمع السواحيلي طابع عربي إسلامي واضح، يتبدى في الجماعات المختلفة، ويقوم على أساس الأصل الذي قدمت منه الجماعة، والقرية أو البقعة التي تعيش فوقها، فمن الأصل تأتي العائلة ونسبها والطبقة التي تنتمي إليها، ومن البقعة التي تشغلها تأتي العلاقة بالقرية والانتساب إليها، أما نوع القرابة التي نشير إليها ومداها فتختلف بين المجموعات السواحيلية المختلفة، فمثلاً توجد تنوعات كبيرة بين المجموعات السواحيلية التي تعيش في ممبسا وبين الشيرازيين في جزيرتي زنجبار وبمبا، والمجموعة التي تشترك في أصل واحد ولها حقوق وواجبات متبادلة ومتشابهة مما يجعل تمثيل الغرباء واستيعابهم وتمثيلهم لكي يتغلب المجتمع الساحلي على العقبات ويظل باقياً(1). ومن هنا ظهر النظام الطبقي، ووجدت العلاقات المعقدة التي تقوم في نطاقه، وأصبحت بعض الوظائف المعينة حقاً لبعض العائلات التقليدية لا يناقشها أحد فيها. بينما نظام الأسرة، ومنه قوانين الزواج، وهي أساس الأسرة وعمادها، تخضع للتعاليم الدينية. ويقوم النظام الطبقي على حكم العادة المستمدة من كبرياء العرب بنسبهم واعتزازهم به(2)

(1) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 246.
(2) زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 85.

وشهد الساحل الشرقي الأفريقي موجات متصلة من مهاجري اليمن، وكان من بين المهاجرين بعض الفقهاء، فأدخلوا المذهب الشافعي بين أهل السواحل، كما عني هؤلاء بكتابة السواحيلية بحروف عربية، وكانت قبل ذلك لغة غير مكتوبة، وأدخلوا فيها أيضاً موضوعات الشعر العربي وأوزانه، ومن اختلاط العناصر الحضارية الإسلامية مع بقايا الحضارة الشيرازية البنتوية تكون نسيج الحضارة السواحيلية المعروفة لنا اليوم، وهي حضارة غلب عليها الطابع الإسلامي(1). وقد ترك السواحيليون أثراً عميقاً في جماعات السود في قلب أفريقيا ونشروا الإسلام بين قبائل كثيرة تسكن اليوم تنزانيا وكينيا مثل الزرمو وماتوفى في لونانهر وفينجي ونضيف إلى ذلك شعب الببيا الذي يسكن المناطق الساحلية الممتدة من كلوه إلى موزمبيق وقد وجدوا في الإسلام تشريفاً وتقديراً واحتراماً لهم فأقبلوا عليه ونالوا به الصدارة والوجاهة، وبلادهم الآن تتميز عن غيرها بالمساجد الجميلة ذات الطابع الأفريقي، وإليهم يرجع الفضل في إطلاق اسم دار السلام على موضع فرضةٍ صغيرة مقابل جزيرة زنجبار،

(1) سالم، علي سعيد، دخول الاسلام في شرق وجنوب افريقيا، بحث منشور (جامعة القاهرة، دار العلوم) 1997، ص 28.

وازدهرت المدينة وأصبحت دولة تنجانيقا ثم تنزانيا اليوم. ويعد الساحل الشرقي الأفريقي ركناً هاماً من أركان التجارة الشرقية في عام المحيط الهندي، ولذا كان المجتمع السواحيلي يتميز بممارسة النشاط التجاري بسبب ما يتوفر لديه من منتجات طبيعية لعبت دوراً متميزاً في حركة التبادل التجاري(1)، ويمكن أن نقرر أن الجنس السواحيلي يضم أناساً من البانتو إلى جانب الفرس والعرب، وهم من البانتو الذين لم تعد لهم صلة بقبائلهم أو لا يستطيعون الانتساب إلى العرب، وهؤلاء إما أناس من أصل الرقيق أو أنهم أفريقيون من القبائل الساحلية، وبعض هؤلاء يحتفظ بصلته بقبائلهم. ومن هؤلاء، على ساحل كينيا، قبائل نجوميني وكيتوداني وكلوة وباتا(2)، وربما إنهم أفريقيون أقاموا بصفة دائمة على الساحل، إذ يوجد في زنجبار وحدها حوالي سبعين قبيلة مماثلة، من أهمها نياموزي وأكامبا وكيكوبو(3)

(1) المشري، محمد عمر، المرجع السابق، ص 1.
(2) زكي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص103.
(3) زكي، عبد الرحمن، تاريخ الدول الإسلامية بافريقيا، سلسلة الالف كتاب، وزارة لتربية والتعليم، ط1، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، دائرة المعارف الإسلامية) 1961، ص 90.

كما يضاف إلى السواحيلي أناس آخرون أصبحوا سواحيليين لغة وثقافة ومع ذلك بقوا مميزين، ومن هؤلاء البوجون واليجيجو والرفيجي، وجميعهم مسلمون ويتحدثون باللغة السواحيلية(1).

وكلمة سواحيلي قلما يستخدمها السواحيليون أنفسهم، فهم يستعملون الأسماء القبلية كعربي وشيرازي، أو أسماء عشائرهم مثل ميكيلندريني، والأصح أن تستخدم الكلمة كمصطلح ثقافي يطلق على الناس الذين تأثروا جذرياً بحضارة الساحل الشيرازي، وهي كلمة اشتقت من الطبقة الحاكمة السابقة التي كان يسكن أفرادها الجزر المجاورة للساحل أو المناطق الساحلية، تلك المدن التي امتزجوا فيها مع البانتو وعملوا كفلاحين، والشيرازي غالبية سكان المدن الساحلية، وقد اندثرت معظم مدنهم الأصلية واختفت معالمها الثقافية التي امتزجت بالتأثيرات العربية ومن هذا الخليط قامت الثقافة السواحيلية(2).

(1) محمود، حسن أحمد، المرجع السابق، ص 20.
(2) حسن، يوسف فضل،المرجع السابق، ص 110.

2- تأثير الإسلام في العادات والتقاليد:

تأثر المجتمع في ساحل شرقي أفريقيا بالعديد من المؤثرات الاجتماعية للحضارة العربية الإسلامية والتي تمثلت في:

أ- عادات الولادة والتنشئة الاجتماعية:

بعد أن تتم عملية الولادة يغسل الطفل بالماء الفاتر، ويرش عنقه وتحت إبطيه وما بين فخذيه بمسحوق عشبي معطر، ويوضع الطفل في الفراش، وتوضع ذراعاه ورجلاه بصورة مستقيمة ثم يشد جسمه كله برباط قوي من قدميه وحتى كتفيه وتلف أطرافه كلها مع جذعه، ويسمَّى ذلك "القماط"، ويبقَى الطفل في القماط أربعين يوماً لا يخرج منه إلا عند الاستحمام فقط، والقصد من ذلك أن يكون للطفل قوام مستقيم(1). وتتولى الأم رعاية طفلها بنفسها وإن كثر الخدم عندها، وإذا كان الوليد بنتاً خرمت أذناها في اليوم السابع بإبرة حادة ووُضعت فيها خيوطٌ حريرية ترفع بعد أسبوعين لتحل محلها الأقراط التي تبقى معلقة طول حياتها(2).

(1) سلطان، سالمة بنت سعيد، مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد القيسي، ط5(عمان، وزارة التراث القومي والثقافة) 1983، ص 118.
(2) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد نجاتي، (القاهرة،د.ت) 1956،ج1، ص 250.

وعند بلوغ الطفل أربعين يوماً يجري له احتفال فريــد، وهو الاحتفال بحلاقة شعر الرأس وتتم عملية الحلاقة وفق مراسم معينة، حيث تتم في جو من روائح البخور الهندي ولا يجوز أن يحرق أو يرمي هذا الشعر بل يجب دفنه في مكان معين من التراب، أو شق من شقوق جدران المنزل(1)، وذلك بعد أن يتم وزنه بما يعادله ذهباً أو فضة ثم توزع قيمتها على الفقراء كصدقة(2).

كما يستعمل الحجاب أو التمائم لحماية الطفل من الحسد أو العين الشريرة ويسمى ذلك "بالحرز". وهو بالنسبة للطبقة الفقيرة أو الوسطى عبارة عن كيس صغير الحجم من الجلد يوضع على ذراع الطفل الأيسر، وبداخله بصلة وثومة وعظمة أو صدفة، ويكون الحجاب عادة بالنسبة لأبناء الطبقة الغنية مشتملاً على آيات قرآنية، منقوشة على قطعة من الذهب أو الفضة(3). ويرضع الطفل من ثدي أمه بجانب الحليب الحيواني، حيث يُغْلَى مع الأرز المطحون والسكر ويصب في أكواب ذات مصب رفيع ويأخذ الطفل ما يشاء إلى أن تبدأ أسنانه في الظهور(4).

(1) سلطان، سالمة بنت سعيد، المصدر السابق، ص 119.
(2) أنظر: الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 55. الادريسي: المصدر السابق، ص 190.
(3) سالم، علي سعيد، المرجع السابق، ص 184.
(4) سلطان، سالمة بنت سعيد، المصدر السابق، ص 120.

ويقام للطفل احتفال عند محاولته الجلوس لأول مرة حيث يُدعَى مجموعة من الأطفال ويلبس الطفل الملابس الزاهية ويوضع على عربة متوسطة الحجم مفروشة بوسائد، ثم تنثر عليه الذرة المحمصة المخلوطة بقطع النقود، ويقوم الأطفال بجمع ما تيسر لهم ولا يلبس الأطفال في السنة الأولى من ميلادهم أحذية في أرجلهم، ولا يحدد لهم وقت معين للنوم أو مكان مخصص لذلك. والعطر يستعمل بكثرة، فجميع ملابس الطفل ومناشفه وفراشه وثيابه تعطر بدهن الياسمين المنعش ثم بالمسك والعنبر قبل أن يستعملها، ثم يرش عليها بعدئذ عطر الورد(1). ويهتم المجتمع السواحيلي بتربية الفتاة، وتوجد رقصة تسمى "طحن القمح"، وتسمَّى بالسواحيلي "أوناجو"، والهدف من هذه الرقصة تعليم الفتيات الصغيرات شؤون المنزل وتربية الأطفال ورعاية الزوج من خلال حركات إيقاعية معينة، على دقات الطبول المصحوب بالغناء، وتقوم بهذه الرقصة النساء بالاشتراك مع الفتيات الصغيرات ويحظر على الرجال حضورها(2).

(1) انظر : السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج1(القاهرة،د.ن) 1353هـ، ص ،252، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن: المصدر السابق، ص 261.
(2) سليمان، عبد الغني المالكي، بحث عن دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، العرب في أفريقيا، الجذور التاريخية والواقع المعاصر(جامعة القاهرة، كلية الآداب) 1987، ص 150، أحمد بابا التمبكتي، أبو العباس: نيل الابتهاج بتطوير الديباج، (القاهرة، د.ن) 1239هـ، ص 210، محمود، حسن احمد: المرجع السابق، ص 77.

وإذا بلغ الطفل سناً معيناً اهتم بتدريبه على أعمال الفروسية وركوب الخيل والقفز من حصان لآخر والقفز العالي بالحصان والسباحة وهي هواية شائعة أخرى ويتعلمها الأطفال من تلقاء أنفسهم، والتدريب على السلاح والرماية يقبل عليها بكل حماس.

ب- الزواج:

أصبح التقيد بتعاليم الإسلام فيما يتعلق بالزواج بالساحل الأفريقي الشرقي، حيث ساوى الإسلام بين جميع الطوائف في المجتمع فبعد أن كانت عادة المصاهرة بين العناصر العربية وبين العناصر الزنجية نادرة جداً وفي نطاق ضيق، تلاشت هذه العادة بعد ذلك، حيث كثر الاختلاط والتمازج بين ذوي الأصول العربية والزنجية. وفي الماضي كان لا يسمح للعربي بالزواج من فتاة زنجية ولكن هذه العادة تغيرت وأصبح هناك تشجيع ومساواة في الزواج بين الجنسين حتى لا يسود الطابع العنصري(1).

وكان الزواج في الماضي يتم من داخل الأسرة، وكانت الفتاة لا تتزوج إلا ابن عمها أو أحد أقاربها بغية الحفاظ على نقاء العنصر العربي، وكذلك للحفاظ على الحياة والثروة الخاصة بالأسرة(2).

(1) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 257.
(2) الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 138.

1. الخطبة: يأتي اختيار العروس كأول مرحلة من مراحل الزواج إذ تتم الخطبة عن طريق إرسال أحد رجال الأسرة من كبار السن إلى أسرة الفتاة. وفي حالة عدم التعارف مع أهل العروس فإنهم يطلبون فترة للتفكير تتراوح بين أسبوعأو أكثر، وذلك حتى يتسنى لهم استشارة بعض أفراد العائلة كالعم والأم وأيضاً لمعرفة نسب العريس وأخلاقه، وبعد أن تتم الموافقة على العريس يعلنون الزواج ويحددون قيمة المهر(1).

2. عقد القران: تتم مراسم عقد القران مساءاً في بيت أحد العروسين ويقوم بها قاضي المدينة أو من ينوب عنه من رجال الدين أو من عرف في الجماعة بالورع والتقوى، ولا تظهر العروس إنما ينوب عنها أبوها أو أخوها أو أحد من أقاربها فإن لم يكن لها أحد منهم حضرت بنفسها ملتفة بعباءتها بحيث لا يُرَى منها شيء البتة إلى غرفة خالية ثم يدخل عليها القاضي والعريس وبعض الشهود وبعد أن تجيب بما يفيد قبولها بالزواج يخرج القاضي ومن معه من الغرفة ليتيحوا للعروس مجالاً للخروج منها والعودة إلى غرفتها في حين يحيي الرجال تلك الليلة في حفلة عشاء ضخمة يقيمها العريس بهذه المناسبة(2).

---

(1) الحميمي، الحسن بن أحمد، المصدر السابق، ص 198، الغيث، حمامة خلفان: المرجع السابق، ص 140، سالم، علي سعيد، المرجع السابق، ص 185.

(2) انظر: سلطان، سالمة بنت سعيد، المصدر السابق، ص ص 211-212، الوزان، الحسن: وصف أفريقيا، ط2، تحقيق محمود محمد الحجي (بيروت، دار الغرب الإسلامي)، 1983، ص 90.

وفي اليوم الأول يقيم أهل العروس حفلاً ضخماً للأهل والأصدقاء توزع فيها قطع الحلوى والقهوة العربية، أما النساء فيقمن بالرقص والغناء ويؤدين رقصة "الليوا" حيث تلبس النساء المشاركات في الرقص الملابس التنكرية المختلفة، التي تخص بعض الدول الأفريقية وكذلك الملابس العمانية والهندية(1)، ثم تقوم بعض النساء بطلاء وجوههن بألوان مختلفة ويحملن في أيديهن قطعاً من العاج أو الحديد فيقمن بضربها بعضاً على بعض لتحدث أصواتاً تتناغم مع أصوات الطبول والمزمار التي يعزفها الرجال الجالسون وسط الدائرة. ومن المعلوم أن النساء في الماضي كن يرقصن هذه الرقصة قبل الوجود العماني حيث كن يطلين وجوههن بالأصباغ ذات الألوان الزاهية ويخططن حواجبهن من الصدغ حتى الصدغ ويقمن بعمل دوائر باللون الأسود لأعينهن ويسرن حافيات الأقدام ويحملن في أيديهم قطعاً من العاج لتحدث أصواتاً أثناء الرقص، وأما الرجال فقد كانوا شبه عراة ويحملون في أيديهم السهام والأقواس ويرقصون كما لو كانوا في معارك حربية(2).

(1) الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 139.
(2) انظر: المقريزي، المصدر السابق، ص 70.

3. ليلة الزفاف: احتفالاً بليلة الزفاف أو الزواج يفتح والد العريس أبواب بيته في دعوة عامة يحضرها الأهل والأقارب والأصدقاء والمعارف وكثير من الغرباء أيضاً ويحتفل بهم جميعاً على قدم المساواة وتستمر الأفراح أياماً وليالي وقد تطول إلى أسبوعين(1). حيث تقدم الأنواع المختلفة من الأرز واللحم المطبوخ وتوزع الحلوى والقهوة العربية(2). وفي ليلة الزفاف تتحلى العروس بأحلى زينتها وأكمل حليها ثم يأتي أهل العريس من رجال ونساء ليزفوها إلى بيتها الجديد الذي تتحرك إليه في حاشية من نساء قومها(3)، ليستقبلها العريس وأهله وينشرون بين قدميها النقود والحلوى ثم يأخذونها إلى غرفتها الخاصة، وبعد أن تستقر هناك تستأذن النسوة منها بالانصراف ليذهبن إلى صالون البيت حيث تجرى ليالي الأفراح(4)، وبعد انصراف النسوة يدخل العريس الغرفة على عروسه وتقضي الأصول أن تنهض الفتاة لاستقباله ويبدأ الرجل بالتحية والكلام، ويرفع عن وجهها البرقع السميك الثمين الذي يغطي وجهها ويقوم بتقديم هدية بهذه المناسبة سواء كانت بضع دريهمات عند الفقراء أو حفنات كبيرة من الذهب والفضة عند الأغنياء(5).

(1) الدمشقي، المصدر السابق، ص 167، الغيث حمامة خلفان: المرجع السابق، ص 140.
(2) القزويني، زكريا بن أحمد، المصدر السابق، ص 90، الغيث حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 140.
(3) انظر: محمد، سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 154، العمري، أحمد سويلم: المرجع السابق،ص60.
(4) انظر: سالم، علي سعيد، المرجع السابق، ص 190، سلطانة، سالمة بنت سعيد،المرجع السابق،ص212.
(5) جيان، المصدر السابق، ص198.

4. الموت والحداد: عندما يشرف شخص على الموت يقوم الأهل باستدعاء شيخ لتلاوة القرآن الكريم (سورتي يس والرعد)(1)، وتتمثل الشعائر في تأدية صلاة الجنازة والحداد ونهاية الأربعين وعرفت باللغة السواحيلية كما يلي: الجنازة Maziko- الحداد Matanga- نهاية الأربعين Arbaini .

أ- الجنازة Maziko : يتم غسيل الموتى وفقاً للشريعة الإسلامية وعن طريق المغسل Mwosha والذي يساعده عادة مساعدان، وبعد الغسل يسجى الجثمان فوق حصير Mkeka ويرسل بعد ذلك للصلاة عليه، ويلف بإزار ثم يبخَّر النعش والكفن الذي يوضع فيه، ويشترك الرجال فقط في الجنازة، التي تتوقف أمام أحد المساجد للصلاة على الميت Talgin ويقوم الرجال بالتكبير ويوارى الجثمان في القبر المخصص له وهو مستور بالأقمشة، وبعد ذلك تغطى فوهة القبر بفروع الأشجار أو بواسطة لوح خشبي ثم يهال التراب عليه، وعندما ينتهومن ذلك تفتح فجوة عند الرأس يصب فيها الماء مع تلاوة بعض الأدعية والصلوات لإعلان أن المتوفى كان مسلماً ويسمى هذا الماء "ماء الشهادة" Magiya Saahada .

(1) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 238.

ب- الحداد Matanga : وتستغرق مدته ثلاثة أيام، ومن مظاهره أنْ يقوم أقرباء الميت برفع المقاعد ومد حصر كبيرة فوق الأرض، يجلسون ويأكلون ويرقدون فوقها كعلامة للحداد، وكلمة ماتانجا Matanga تشير إلى تلك الحصر، وفي العادة يتلقون العزاء خلال هذه الأيام، ويقول المعزون عند دخولهم Makiwa أي البقاء لله ويرد أهل المتوفى Yamepita أي شكر الله سعيكم(1)، ومن طقوس الحداد تجهيز الطعام وإرساله إلى الفقراء بانتظام، ويتم ختم القرآن في كل ليلة من الليالي الثلاث بعد صلاة العشاء Kusoma Hitima وذلك بأن تقوم كل مجموعة من الحاضرين بتلاوة جزء من القرآن الكريم علي روح الميت Kumwom Beamaiti ثم يقرأ دعاء يسمى التختيم(2).

(1) انظر : ابن الأثير، أبو الحسن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، ط1(بيروت، دار صادر)، 1982، ص 165، سالم، علي سعيد: المرجع السابق، ص ص 190-192.
(2) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 241.

ج ـ فترة الأربعين Orbaini : وهي إجمالي فترة الحداد والتي تستمر أربعين يوماً وتنتهي أيضاً بقراءة الخاتمة مرة أخرى، وبوليمة تسمى وليمة الأربعين(1)، وهم يزورون المقبرة في هذا اليوم ويتركون الهبات بجواره Vungo Funcu ولا يسمح لأرملة المتوفى بالزواج إلا بعد انقضاء فترة العدة كما هو محدد في الشريعة الإسلامية(2).

وتلك المظاهر الاجتماعية الإسلامية هي ناتج الحضارة العربية والثقافة الإسلامية التي تميز بها المجتمع الأفريقي بدول الساحل الشرقي لأفريقيا.

ويستخلص الباحث مما سبق إن معظم أهالي سكان ساحل شرق أفريقيا قد تأثروا بالناحيتين الثقافية والاجتماعية اللتين غرسهما العرب تأثراً واضحاً ولقد لقيت العادات والتقاليد والاعتقادات العربية اهتماماً خاصاً لدى المحليين الأفارقة.

(1) انظر: ابن ماجد، المصدر السابق، ص 205، سالم، علي سعيد: المرجع السابق، ص 187، ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، طبع في مدينة ليدن، 1302 هـ، ص ص 230-270.

(2) انظر:المغيري، سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي،ط2(الأردن، مطبعة دار الكتب)، 1986، ص 135، الحميدي، محمد عبد المنعم، كتاب الروضي المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس،ط2، (بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة) ، 1980، ص 156، ترمنجهام سبنسر، المصدر السابق، ص 241.

الفصل السادس
التأثيــر الثقافــي للحضارة العربيةالإسلامية في شرقي أفريقيا
424-656هـ / 1129-1258م

الفصل السادس

التأثيـر الثقافـي للحضارة العربية الإسلامية

في شرقي أفريقيا

أولاً: اللغـــة :

1- ظهور اللغة السواحيلية:

نتج عن امتزاج العرب بالأفريقيين ظهور ثقافة مميزة المعالم ارتكزت على لغة جديدة هي السواحيلية التي أخذت من اللغة العربية كثيراً من البناء والمفردات(1).

إن أصل اللغة السواحيلية من لغة البانتو، وقد انتشرت في أقاليم واسعة تمتد على طول الساحل الشرقي حتى موزمبيق في الجنوب وتمتد في عمق القارة غرباً إلى منطقة كاتانغا في زائير، ويمكن إيراد أمثلة للمفردات التي اقتبستها السواحيلية من اللغة العربية وهذه المفردات تعود إلى حقول دلالية مختلفة(2).

(1) قاسم، جمال زكريا، استقرار العرب في شرق أفريقيا، ص 260.

(2) الفران، محمد، تأثير اللغة العربية في بعض اللغات الأفريقية، مجلة أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية علي جانبي الصحراء(ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية) 1988، ص 133.

دكان	Duka	غفلة	Ghafula
تاجر	Mtajiri	نعمة	Necma
مال	Mali	عابر	Abiri
غالي	Ghali	ورقة	Waraka
سوق	Soko	غرامة	Gharama
رخيص	Rahisi	غرفة	Ghorofa
بيع وشراء	Biashara	معقولات	Maakuli
عيب	Aibu	عرس	Arusi
خطيئة	Hatia	سياسة	Siyase
حكاية	Hikaya	جمهورية	Jamhuri
هبة	Hiba	محكمة	Mohakma
جلال	Jalili		

ومن أساليب أخذ السواحيلية عن العربية أنها تكرر بعض الكلمات جاعلة من المجموع كلمة واحدة فنجد مثلاً هلا هلا أي حالاً وسوا سوا أي سواء، وقد يأخذون جملاً ويصوغونها في لفظ واحد كقولهم للتشكر أسنت أي أحسنت(1).

(1) المرجع نفسه، ص 134.

ويتغير نطق كثير من أصوات الحروف العربية عند دخولها على اللغة السواحيلية، وهكذا ننطق الحاء والخاء والهاء هاء والعين تصبح همزة، فمثلاً العسل أسلي، والعمارة إمارا، والقاف تصير كافاً مثل كابيلا أي قبيلة، وكافلا أي قافلة والطاء تصبح تاء مثل طيب Taibu وتعبير Tabiru، وقد تصبح الطاء دالاً والطاء صاداً مثل صنبط Sabidi(1).

واللغة السواحيلية قد تعوض السكون في العربية بالكسرة أو الضمة أو الفتحة نحو(2):

مرجان	**Marijani**	صفر	**Sifuri**
سيْر	**Sitiri**	قصد	**Kusudi**
حسرة	**Hasira**	حزن	**Husuni**
صنف	**Sanifa**	بغض	**Bughydi**
مدرسة	**Madarasa**	وقت	**Wakati**
قهوة	**Kahwa**		

(1) الخليل النحوي، اللغة العربية في أفريقيا، مجلة اللسان العربية، دراسات وبحوث أفريقية، ص 16.
(2) التميمي، عبد الجليل، العلاقات العلمية العربية الأفريقية، حصـيلة الأبحاث الجامعية حول أفريقيا بكل من مصـر وتونس في الثقافة العربية الإسـلامية بأفريقيا جنوب الصـحراء، غرب أفريقيا نموذجاً، ص ص 19-30، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، أوت 1997، ص 100.

والكلمات العربية عندما تدخل السواحلية قد تطرأ عليها زوائد فتصبح غامضة لا تعرف إلا بعد رويِّة وإمعان نحو(1):

شُغليكا	**شغل**
صَافيشا	**الصفاء (النظافة)**
ماجيبو	**جواب**
تشاكولا	**أكل**

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من المفردات العربية التي تدخل اللغة السواحيلية قد يطرأ على معانيها تطور وتغيير يبتعد بها عن المعنى الأصلي الأول(2):

(1) دنيس، بولم، الحضارة الأفريقية، ترجمة علي شاهين، ص ص 32-33.
(2) الفران، محمد، المرجع السابق، ص 135.

صديكي	صَدَق	ظنّ
فكيري	فكّر	اعتبر
لابْدا	لابْدَّ	رُبما
روادى	زيادة	الهدية
هفيفو	خفيف	لاقيمة له
هَرَكا	حركة	السرعة

واللغة السواحيلية امتزجت بألفاظ وتعبيرات عربية وفارسية وهندية وغيرها، ولكن من الملاحظ أن اللهجة السواحيلية المنتشرة في جزيرة زنجبار قد استعربت بدرجة كبيرة حتى أن الناطقين بها كانت لهجتهم عربية صرفة(1).

أما بالنسبة لآداب اللغة السواحيلية فهي أوفر مادة ذلك إنها نهلت من معين اللغة العربية الفصحى والدارجة، ودخلتها حكايات وأقاصيص وأشعار عربية مختلفة. والسواحيلية لغة المعاملات التجارية والمالية على طول ساحل شرق أفريقيا،

(1) Seoudy, M.A., The Lampacts of Contacts between East Africa and Arabia, Institute of African Studies and Researches, (Cairo, University of Cairo), p. 9.

كما انتشرت في منطقة البحيرات الاستوائية ودواخل القارة الأفريقية مثل كينيا وأوغندا ورواندا وبورندي ونياسلاند ومنطقة حوض الكونغو وغيرها(1).

لقد انتشرت اللغة العربية كظاهرة في أفريقيا جنباً إلى جنب مع انتشار العقيدة الإسلامية ذاتها وتطلبت هذه العقيدة معرفة أصول اللغة العربية لأداء فروضها وفهم أصول الإسلام من خلالها(2)، ولعل من أهم نتائج التواصل العربي الأفريقي نشأة اللغة السواحيلية منذ عدة قرون، حيث واصلت انتشارها بظهور دولة الزنج في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وتوطدت في أرجاء ساحل شرق أفريقيا بمجيء القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) (3). وكلمة سواحيلي مشتقة من الكلمة العربية (الساحل) وتضم السواحيلية أكثر من خمس عشرة لهجة أهمها:

كي أنجوجا، وهي لهجة أهل زنجبار، وتعتبر اللغة الأم أو السواحيلية العظمى حيث أصبحت لغة التخاطب الأولى في شرق أفريقيا(4).

كي مفيتا، وهي لهجة أهل ممبسة وهي غير مكتوبة.

---

(1) حسن، حسن إبراهيم،المرجع السابق، ص 339.

(2) شلش، علي، الأدب الأفريقي، (الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، 1993، ص 44.

(3) الحويري، محمود محمد، ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، (القاهرة، دار المعارف) 1986، ص 45.

(4) شويقة، فاروق عبد الجواد، دراسات أفريقية، (القاهرة، دار النهضة العربية)، 1983، ص 136.

كي آمو، وهي لهجة أهل كينيا وقد كتب بها الشعر.

كي هاديمو، وهي لهجة أهل الريف في زنجبار.

كي نجوانا، وهي اللهجة المستعملة في الكونغو(1).

ومن الجدير بالذكر أن اللغة السواحيلية كانت منذ بدايتها قد ارتبطت باللغة العربية والإسلام، والظاهر أن أكثر من ربع مفردات اللغة الشفوية السواحيلية هي عربية، وأغلبها مكتوبة بأوزان الشعر العربي(2)، ويري سيودي (Seudy) أن هناك 3006 كلمة في اللغة السواحيلية من أصل لغة البانتو، أما بقية كلماتها فجاءت من مصادر أجنبية وتوزيعها كما يبين الجدول الآتي(3):

(1) شويقة، فاروق عبد الجواد، المرجع نفسه، ص 136.
(2) الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 152.
(3) Seudy, M.A.: Op. Cit., pp 8-9.

الأصل	العدد	النسبة المئوية
العربية	2534	%80.5
الفارسية	160	%2.3
الهندية	105	%3.4
التركية	14	%0.46
البرتغالية	59	%1.9
الإنجليزية	132	%4.4
الألمانية	3	%0.09

ويشير د.نابرت إلى أن الأدب السواحيلي هو أكثر تأثراً بالأدب العربي من الأدب الأفريقي في مادته وروحه، أما في كتابه (الأساطير في السواحيلي) فنجد أن معظم الأفكار والقصص عربية مثل قصص الأنبياء، وكذلك تحتوي علي قصص الفكاهة والحكمة بالإضافة إلي أشعار أبي نواس والمتنبي وقصص السندباد وألف ليلة وليلة(1).

(1) Seudy, M.A.: Op. Cit., pp 9.

كما تأثرت اللغة السواحيلية باللغة العربية في مجال الضمائر أكثر من غيرها في المجالات الأخرى، فنجد أن اللغة السواحيلية تتميز بالضمائر المتصلة والمنفصلة كما هو الحال في اللغة العربية(1)، ويمكن بيان ذلك كما يأتي(2):

ضمائر النصب المتصلة	ضمائر الرفع المتصلة
Ni	Ni أو N
Ku	U أو W
Mu	Tu أو Tw
Tu	Mu أو Mu
Wa	Wa

(1) عفت، راجية محمد، الثقافة العربية في شـــرق أفريقيا، رســـالة دكتوراه غير منشـــورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1980، ص 114.
(2) المرجع نفسه: ص 115.

واللغة السواحيلية تشبه اللغة العربية في تقسيم الضمائر إلي حالة المتكلم والمخاطب والغائب ماعدا ضمائر المثنى:

المتكلم	أنا	MM	نحن	Sisi
المخاطب	أنت	Ne We	أنتم، أنتن	Minyi
الغائب	هو – هي	Yeye	هم - هن	Wao

وكذلك ضمائر الملكية تشبه إلى حد كبير ضمائر الملكية في اللغة العربية مثل(1):

لي	Agu
لكَ أو لكِ	Ko
له أو لها	Ke
لنا	Itu
لكم ، لكن	Inu
لهن، لهم	O

(1)عفت، راجية محمد، المرجع نفسه: ص 117.

أما بالنسبة للضمائر الموصولة، فهناك ضمير للمؤنث وضمير للمذكر. ولم تتأثر اللغة السواحيلية بالعربيّة في أسلوب النفي، ولكنها أكثر تأثراً في ذلك بلغة البانتو. بالإضافة إلى ذلك تتشابه اللغة السواحيلية مع اللغة العربية في تقسيم الفعل إلى ماض ومضارع ومستقبل ومثال على ذلك(1):

أحب	**مضارع**	**Na**	**Ninapenda**
أحببت	**ماض**	**Li**	**Lilapenda**
سأحب	**مستقبل**	**Ta**	**Nitapenda**

وكما لعبت اللغة العربية دوراً مهماً في نشأة اللغة السواحيلية فإنها أيضاً كانت سبباً في إسهام المتحدثين بها من العرب والأفارقة في نشرها بعد ذلك وعلي نطاق واسع داخل القارة الأفريقية، إلى درجة أن عدد المتكلمين بها أصبح عددهم يتزايد يوماً بعد يوم وسط القارة الأفريقية وحتى موزمبيق على ساحلها الشرقي، وأصبحت لغة تخاطب رئيسية في معظم تلك المناطق ولغة رسمية في التجارة والقضاء والآداب والتعليم والإدارة(2).

(1)عفت، راجية محمد، المرجع نفسه: ص 117.
(2) محمد، عبد اللطيف علي، أفريقيا، العربية، المرجع السابق، ص 79.

واللغة السواحيلية تحتل المرتبة الثانية بعد اللغة العربية، ويتحدث بها في الوقت الحاضر أهالي تنزانيا وكينيا وأوغندة والكونغو، وتستخدم على نطاق واسع في جنوب السودان، وروانده وبورندي وشرق زائير وشمال الموزمبيق وجزر القمر ويقدر عدد الناطقين بها أكثر من خمسين مليون نسمة(1).

وزاد ارتباط اللغة السواحيلية باللغة العربية بمجيء الإسلام، إذ ما فَتِئَتْ اللغة العربية تطَّعم اللغة السواحيلية حتى قال بعض المفكرين : إن السواحيلية ما هي إلا صيغة مبسطة للغة العربية(2).

وتبلغ نسبة المفردات السواحيلية التي ترجع إلى أصل عربي كبير،ة وهذا يظهر بوضوح في مجالات الدين والأسرة والحياة الاجتماعية بصورة عامة والتشريع والمعاملات التجارية والإدارة وغيرها(3).

(1) الشيباني، عمر التومي، اللغة العربية واللغات الأفريقية، ط2(ليبيا، الدار العربية للكتاب)1980،ص479.
(2) مسعودي، محمد عبد الغني، قضايا أفريقية، سلسلة عالم المعرفة، ص 89.
(3) حسن، حسن ابراهيم، أعمال مؤتمر التعليم من أجل التحرر في أفريقيا، ج1، ص 240.

2- استخدام اللغة العربية :

انتشرت اللغة العربية انتشاراً واسعاً وسريعاً في أفريقيا بدخول الإسلام، فحيث حل الإسلام حلت اللغة العربية، وبها دونت علومه المختلفة، وقد أقبل الأفريقيون على تعلمها إقبالاً كبيراً فهي لغة الدين علاوة علي كونها لغة العلم والتاريخ والحضارة، وبها كتب تاريخ أفريقيا لأن الأفريقيين لم يكونوا على علم بالكتابة قبل دخول الإسلام والعربية إليهم وبذلك تمكن الأفريقيون من كتابة تاريخهم بهذه اللغة(1)، ويمكن القول أن تعلم اللغة العربية في أفريقيا بجانب كونه واجباً دينياً على كل مسلم أفريقي، أمر يُحتمه تأكيد أصالة الثقافة العربية الإسلامية والعلاقة الوثيقة بين الثقافة الأفريقية واللغات الأفريقية وبين الثقافة العربية واللغة العربية، والتأثير المتبادل بين الطرفين التوأمين المتكاملين(2).

---

(1) ديفدسون، باسيل، لمحات من تاريخ أفريقيا، ط2(ليبيا، مركز البحوث والدراسات الأفريقية) د.ت.، ص ص 38-39.

(2) الشيباني، عمر التومي، المرجع السابق، ص 478.

إن اللغة العربية دخلت اللغات الأفريقية في بداية الأمر عن طريق التجار البربر المستعربين من قبيلة مسوفة، ومعلوم أن هؤلاء كانت لغتهم لا يزال يَطغَى عليها الأثر الصوتي للغة البربرية مما يجعل هذه الألفاظ تدخل مُحرفة، من حيث بنيتها الصوتية، لتأخذ مسارها في اللغات الأفريقية حيث تسقط بدورها آثارها الصوتية على هذه الألفاظ فيختفي أصلها العربي من خلال هذه المسيرة من المتغيرات والتحريفات(1). وأصبحت اللغة العربية لغة أساسية للتخاطب والكتابة والثقافة أو على الأقل أصبحت بعض اللغات الأفريقية تستخدم الحروف العربية ومصطلحات تخص مفردات دينية وقضائية وكل ما يتعلق بنظام الحكم(2)، ومما ساعد على انتشار الإسلام واللغة العربية في شرق أفريقيا حرص المسلمين الأفارقة على القرآن الكريم وكتابات قادة الطرق الصوفية شعراً ونثراً بالعربية أو باللغات المحلية بواسطة الأحرف العربية(3).

(1) الشيباني، عمر التومي، المرجع نفسه، ص 479.
(2) محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ج1(القاهرة، دار النهضة العربية)، 1963، ص 10.
(3) Samb Babacer, Reflexion Sur le Role De la Langue Arabe en Afrique, Soudano Sahelienne I, Act du Colloque af Lesh, UA Det I, Universited Ottawa, 1989.

وهكذا تعد اللغة العربية إحدى اللغات الأفريقية بل هي أكبر هذه اللغات وأكثرها انتشاراً وتأثيراً وأقدمها كتابة، وقد ظلت لغة العلم والدين والحضارة حتى مطلع هذا القرن. ومن بين كبريات اللغات الأفريقية التي يتكلم بها عشرات الملايين اليوم في أفريقيا ما ياتي :

السواحيلية: زاد ارتباط اللغة السواحيلية باللغة العربية بمجيء الإسلام، إذ فَتِئَتْ اللغة العربية تطعم اللغة السواحيلية بكثير من المفردات والنصوص(1).

الهوسا: وهي تلي السواحيلية في الانتشار ويتحدث بها في نيجيريا والنيجر والكاميرون وغانا وجزء من السودان وبلاد أخرى(2).

الفلاني: بلهجاتها المختلفة التي يتحدث بها في المنطقة الممتدة من السودان حتى السنغال ويتحدث بها أكثر من خمسة ملايين نسمة(3).

لغة الманديكان: التي تلي السواحيلية والهوسا والفلاني في الانتشار، ويتحدث بها في سيراليون وليبيريا وبوركينا فاسو وغينيا وغيرها(4).

---

(1) مسعودي، محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص 89.
(2) الشيباني، محمد عمر، المرجع السابق، ص 480.
(3) المرجع نفسه.
(4) المرجع نفسه.

اللغة الصومالية: يتحدث بها في الصومال وجزء من كينيا وجزء من الحبشة وقد استعارت هذه اللغة كسابقاتها كثيراً من مفرداتها من العربية(1).

أصبحت اللغة العربية هي لغة المكاتبات والدواوين الرسمية كما أنها لغة المراسلات بين الناس وشتي فنون المعرفة(2)، وكذلك التاريخ القومي لبلادهم كُتب باللغة العربية مثلما فعل بعض المؤلفين(3)، حتى إن حلقات العلم والكتب كان يدرسها الطلاب وغيرهم بالعربية، كما أن التلقي الثقافي كان يتم عبر اللغة العربية ومن أسماء تلك الكتب التي صنفت كتب أحمد بابا التمبكتي عن محمد بغيغ حيث يقول إنه لازمه أكثر من عشر سنين فقرأ عليه مختصر الخليل بن أحمد الفراهيدي وألفية ابن الحاجب وختم عليه الموطأ لمالك بن أنس، فضلاً عن ألفية العراقي في علم الحديث وختم عليه تلخيص المفتاح مرتين، وقرأ عليه حكم بن عطاء والخزرجيةفي العروض وسمع قراءة شيخه كثيراً عن البخاري ومسلم كما حضر بقراءة غيره دروساً في الرسالة والألفية(4).

(1) حســن، يوســف فضــل، جذور العلاقات بين الثقافة الأفريقية والثقافة العربية(مجلة تاريخ العرب والعلوم)، عدد 89، 90، دار النشر العربية، ص 89.

(2) الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 79.

(3) فليفل، الســـيد، الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصـــحراء، بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية، جمعية الدعوة الإسلامية، 18 فبراير، 1998، ص 74.

(4) التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، تحقيق أحمد الهرامة، 1989، ص ص 600-601.

ثانياً: النتاج الفكري :

1- التعليم، مراكزه وأساليبه:

ساعد الازدهار والرخاء التجاري على قيام نهضة علمية وثقافية شامخة في الساحل الأفريقي الشرقي، فقد كثرت الخلاوي وأصبحت منتشرة عبر الساحل، وزادت حلقات الدرس التي كان يقوم بالتدريس فيها علماء نبغوا في علوم العربية والفقه والتفسير، جذبت شهرتهم العلمية طلاباً من أنحاء متفرقة من الساحل(1). لم يقتصر تعلم العلوم الدينية على الرجال وإنما امتد ليشمل النساء أيضاً، فقد نلن حظهن من القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية، وكانت حلقات الدراسة تعقد في المساجد وفي بيوت الفقهاء حيث يأتي الطلاب إليها في حماس شديد(2).

ويبدأ نظام التعليم بمرحلة الكتاتيب، ثم مرحلة دراسة العلوم العقلية والنقلية. وقد اهتم السلاطين والفقهاء والعلماء بأن يحل الإسلام وثقافته محل الوثنية وعاداتها ونجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً. وكان الاهتمام منصباً على تعريب السكان لغوياً بقدر ما كان اهتمامهم بنشر الإسلام وثقافته بين الناس(3)

---

(1) العراقي، سيد أحمد، معالم الحضارة في ساحل شرق أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، 1986، ص 30.
(2) المرجع نفسه، ص 31.
(3) المرجع نفسه، ص 33.

وقام المسلمون بتشييد مدارس القرآن الكريم، المعروفة باسم (الدوكسي*)(1)، في كل مكان به تجمع إسلامي، واهتم المسلمون بها وأرسلوا إليها أولادهم لتلقي العلم. ويبدأ المعلم بتهجية الحروف العربية ويردد المتعلم وراءه الحروف حتى يتقنها مستخدمين الأدوات الآتية: اللوح - القلم - الدواة. وكان طالب الكتاب بعد أن يتم حفظ القرآن الكريم ينتقل إلى دراسة العلوم النقلية، وعندئذ يكون طالب العلمغير مقيد بشيخ معين، وله حرية اختيار معلمه أو التنقل من شيخ لآخر ومن حلقة لأخرى. وكان التدريس يتم في المساجد أو البيوت، ويتنقل الشيوخ من مكان لآخر حيث يلتقون طلابهم(2)، وكان الشيخ عادة يقرأ النص العربي ويفسره باللغة المحلية. والطريقة المتبعة لدراسة العلوم هي أن يبدأ الطالب بالمختصرات ويتدرج حتى يصل إلى المستوي المقصود، ويدخل حينئذ في سلك العلماء ويقتفي أثرهم فيدرس كما كانوا يدرسون(3). وازدهرت الحركة العلمية في مدن زيلع وهرر وأوفات وبربرة ومقديشو وبراوة وكلوة وأصبحت مدناً ومراكز علمية مشهورة في أرجاء ساحل شرق أفريقيا يفد إليها طلاب العلم والمعرفة لينهلوا من علمائها الأجلاء(4).

(*) الدوكسي معناها الخلاوي أو الكتاتيب.
(1) أمين، أحمد، ضحي الإسلام، ج3، (القاهرة، دار المعارف)، 1962، ص 50.
(2) المرجع نفسه، ص 237.
(3) عبد الله، عبد القادر شيخ، تاريخ التعليم في الصومال، (مقديشو)، 1978، ص ص 21-22.
(4) العراقي، سيد أحمد، المرجع السابق، ص 32.

ويمنح الطلاب بعد أن يتموا دراستهم ترخيصاً وإجازة علمية كما هو الحال في المشرق الإسلامي تؤهلهم لتدريس الآخرين، ولم يكن هناك مجالات للتخصص في علم معين بل كانوا يتعلمون جميع العلوم الإسلامية وآدابها(1)، غير أن التدريس للعامة في المساجد كانت تستعمل فيه اللهجات المحلية بعد صلاة الجمعة والأعياد، أما دروس الوعظ فكان القائم بها يتلو آيات وأحاديث ثم يفسرها للناس بلهجاتهم ليفهموها. ولم يكن للدراسة زمن محدد فهو رهينة بقراءة الطالب لعدد معلوم من كتب الفقه والحديث والمنطق وعلوم اللغة وغيرها. ومن الكتب التي كانت تدرس كتاب الشفاء للقاضي عياض، والصحيحين وعلم الحديث والسير والتواريخ وأيام الناس والمدونة والرسالة ومختصر الخليل بن أحمد والألفية والموطأ ورجز المعتلي في المنطق والخزرجية في العروض وشرح الشريف السبتي وتحفة الأحكام لابن عاصم وكتاب المعيار للدنشريشي(2)، وعندما ينتهي الطالب من هذه الدراسة يحصل علي الإجازة المطلوبة للعمل في الخطابة أو الإمامة أو القضاء.

(1) المرجع نفسه، ص 33.
(2) الأحمد، إمحمد مصباح، المرجع السابق، ص ص 216-217.

2- ظهور الفقهاء والعلماء ونتاجاتهم الفكرية في شرقي أفريقيا

برز في كلوة وممبسة عدد كبير من العلماء منهم الشيخ سميط، والقاضي علي حميد قاضي قضاة كلوة وحسن الشيرازي من علماء الحديث بكلوة(1)، كما ظهر الشيخ علي بن إبراهيم نور الدين المفتي الذي قرأ الفقه والفرائض والحساب، وآدم الجبرتي وهو من علماء اللغة العربية والتاريخ البارزين(2).

وحينما نتناول العلماء ودورهم في إثراء الحياة العلمية والثقافية في ساحل شرق أفريقيا بالتفصيل نلاحظ أنه نتج عن اختلاط العرب القادمين من جنوب الجزيرة العربية بالسكان المحليين، اندماج الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأفريقية، واشتهر أبناء الأسر العربية في مجال القضاء والتعليم والثقافة واشتهر بينهم كثير من العلماء الذين أسهموا بقسط وافر في بث الحضارة الإسلامية في الساحل الشرقي لأفريقيا، ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ أحمد بن سميط والشيخ علي بن عبد الله المزروعي والشيخ عبد الله بن محمد باكثير والشيخ عبد الرحمن عبد الرحمن بن أحمد أول إسلام في منبسة(3).

(1) كافي، أحمد محمد، العلاقات العربية الأفريقية، بعض المفاهيم والاعتبارات النظرية، مجلة الدراسات العربية، جامعة الخرطوم، 1991، ص 25.
(2) السخاوي، المصدر السابق، ص 232، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص 227.
(3) Salim, A.I., Swahili Speaking People of Kenya's (E.A. P.H.), 1973, pp 141-142.

والشيخ أحمد بن سميط من العلماء الحضارمة درس العلوم الدينية علي يد العالم العراقي السيد حسين بن علي المرعشي وتدرج حتى وصل لمنصب القاضي، وكان يسافر إلىحضرموت من وقت إلى آخر لتلقي العلم علي يد السيد فضل باشا بن علوي ابن سهل أحد مشاهير علماء الإسلام من الحضارمة، ثم التحق بالأزهر لفترة قصيرة، ثم سافر إلى مكة ثم إلى زنجبار وقضَى بقية حياته يعمل في القضاء وتدريس العلوم الدينية، ضم مجلسه طلاباً من مختلف أنحاء الساحل(1)، وكان يحتل مكانة علمية مرموقة ليس فقط في شرقي أفريقيا فحسب بل في شبه الجزيرة العربية.

ومن العلماء المشهورين أيضاً في ساحل شرق أفريقيا الشيخ علي بن عبد الله بن نافع المزروعي، والذي تلقي العلم من علماء مكة وكذلك الحضارمة، وعند عودته إلي زنجبار عين قاضياً وكان يقوم بتدريس "القرآن الكريم" والعلوم الدينية ومن أشهر تلامذته الشيخ سليمان بن علي المزروعي قاضي منبسة وقاضي قضاتها(2)، وعلي الرغم أن الشيخ علي من أسرة المزارعة الذين يعتنقون المذهب الأباضي فإنه كمعظم أهل الساحل تحول إلي المذهب الشافعي وكتب كثيراً حول معارضته لبعض التعاليم الأباضية مما حدا بالكثير من المجموعات الأباضية الأخرى أن تحذو حذو الشيخ علي مثل البوسعيديين والمزارعة وغيرهم.

(1) Ibid., P. 142.

(2) محمد، سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 139.

ومن العلماء الذين أسهموا في إثراء الحياة العلمية والثقافية وعملوا على نشر الحضارة الإسلامية في الساحل الشيخ عبد الله باكثير من قبيلة الكندي من حضرموت وعمان، تلقَّى العلم على مشاهير العلماء مثل السيد عبد الرحمن الحسن مؤلف مولد البرزخ باللغة السواحيلية قصة مولد الرسول (ص) مستنداً على النسخة العربية للمؤلف الشيخ جعفر البرزخي، درس أيضاً عند الشيخ أحمد بن سميطفي زنجبار وكذلك بعض علماء مكة(1). كذلك قام الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بدور بارز في إثراء الحياة العلمية والدينية في الساحل الكيني وتلقَّى العلم على أيدي العلماء العرب والصوماليين.

ومن أبرز الذين كتبوا عن المنطقة في أواخر القرن السادس الهجري برز كاتب جمع بين الميول العلمية والمهارة في التجارة، وهو مؤرخ أديب عالم بتقويم البلدان، هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الملك الحموي صاحب أضخم مصنف عربي في تقويم البلدان، 574-626هـ / 1178-1229م(2).

(1) محمد، سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 139.
(2) كحالة، عمر رضا،معجم المؤلفين، ج13، دمشق، مطبعة الترقي، 1960، ص 178.

ومعجم ياقوت الحموي يتجاوز كثيراً حدود الأهداف الجغرافية الضيقة وهو أوسع وأهم مصنف عربي في العصور الوسطى، وهو جامع للجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات أيضاً وتنعكس فيه الجغرافيا التاريخية إلى جانب الدين والحضارة والانثروبولوجيا ونجد كثيراً من بلدان شرق أفريقيا في هذا المصنف(1).

عاش ياقوت الحموي في مدينة بغداد التي احترف بها مهنة استنساخ الكتب والاتجار بها، وقد قام بزيارات واسعة لأقاليم العالم المشهورة في زمانه ابتداء من عام 610هـ 1213م والتي استمرت ما يقرب من ستة عشر عاماً، وقد أتاحت له زياراته أن يتعرف على أجزاء كثيرة من أقاليم ومدن العالم، الأمر الذي أفاده في تأليف كتابه المعنون (معجم البلدان) سنة 1224م والذي سجل فيه بترتيب أبجدي وصفاً لكل ما استطاع جمعه من أسماء المدن والمواضع المختلفة(2).

ومن العلماء أيضاً الذين ظهروا في هذه الفترة ابن المجاور وهو يعقوب بن محمد ابن علي الشيباني الدمشقي ولد سنة 601هـ 1205م وتوفي سنة 690هـ 1291م، وهو صاحب كتاب تاريخ المستبصر(3)،

(1) كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص 337.
(2) محمد، عمر المشري، المرجع السابق، ص 134، خصباك، شاكر، في الجغرافية العربية، دراسة في التراث الجغرافي العربي، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص ص 288-289.
(3) ابن المجاور، بشير إبراهيم بشير، دراسة تقويمية لكتابه (تاريخ المستبصر) ودراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، السعودية، جامعة الرياض، ب.ت، ص 41.

وابن المجاور هو تاجر بحري يمتلك مركباً يسافر به عبر بحر العرب والمحيط الهندي والبحر الأحمر وقد كانت له صلات بالهند فقد أقام بعض الوقت بملتان، وفي عام 610هـ 1221م عبر البحر من الذيبل إلى عدن.

وكذلك من العلماء أيضاً علي بن موسي بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي المغربي 610هـ 673هـ / 1213م - 1274م(1).

ألف ابن سعيد كتابين في الجغرافيا هما (كتاب الجغرافيا وكتاب بسط الأرض والطول والعرض). ويري كراتشوفسكي أن ابن سعيد اعتمد اعتماداً كبيراً في مادته الأساسية على الإدريسي فالأقاليم عنده مقسمة إلى سبعة وكل منها مجزأ بدوره إلى عشرة أجزاء، حيث أن مفهوم الإقليم بمعناه الخاص قد أخذ يختفي شيئاً فشيئاً ، ويزيد ابن سعيد على الإدريسي أنه قد بيّن عروض وأطوال جميع المواضع المأهولة بطريقة دقيقة(2)، وعن بلاد الشرق الأفريقي وسواحل البحر الأحمر أورد ابن سعيد المغربي جملة من المعلومات اتسمت بالجدية والأصالة، ومن المعروف أن بن سعيد لم يزر بلاد الشرق الأفريقي ولكنه اعتمد في كتاباته علي مواطنه بن فاطمة، الذي يتضح انه كان عالماً جغرافياً وملاحاً،

(1) كحالة، عمر رضا، المرجع السابق، ج7، ص 249.
(2) كراتشوفسكي، المرجع السابق، ص 258.

ومن خلال ما أورده ابن سعيد عن ابن فاطمة نري أن ابن فاطمة قام برحلات طويلة فقد أبحر هذا الملاح علي طول الساحل الغربي لأفريقيا حتى بلغ مصب نهر السنغال(1)، ويذكر كراتشوفسكي عن رحلات ابن فاطمة للشرق الأفريقي أنه بلغ سفالة الزنج، وعرف مدغشقر وترجع إليه تلك الرواية التي ينفرد بروايتها ابن سعيد دون غيره من المؤلفين والتي تتعلق باستيطان الهنود لجزيرة مدغشقر(2).

ويذكر ابن فاطمة أنه دخل إلى عاصمة مدغشقر (ايرانه) حيث قال "إن طولها أربعة أشهر وعرض الواسع منها نيف وعشرون يوماً وقال أنها للمسلمين كمقديشو"(3).

وهكذا فقد ظهرت خلال الفترة من 529-656هـ طبقة من الفقهاء والعلماء الذين تركوا تأثيراتهم في النهضة العلمية الثقافية في حضارة أفريقيا بصفة عامة وحضارة شرق أفريقيا خاصة.

---

(1) المرجع نفسه، ص 359.

(2) كراتشوفسكي، المرجع السابق، ص 359.

(3) نقلاً عن: ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970، ص 84.

ثالثاً: البناء والعمارة :

(المساجد - المساكن - الحصون - الأسوار)

إن تأثير الحضارة الإسلامية يبدو واضحاً في التأثيرات التي اقتبستها مدن شرق أفريقيا من حيث التخطيط لكي تلائم المجتمع الإسلامي وكذلك في بناء المساجد أفقياً وتنظيم المتاجر والمخازن، ولإقامة أجنحة خاصة في كل مسكن لاستقبال الضيوف، ومن المظاهر الأخرى المشهورة والمتميزة أنه كان يغطي سقوف البناء وقصور السلاطين بالجوخ الأخضر(1).

وتمثل في مباني ساحل شرق أفريقيا الطابع العربي في تخطيط المدن، وقد ذكر بعض التجار أن منازل مقديشو كانت مبنية من أحجار ذات أشكال رباعية تقريباً(2)، وذكر بارباروسا Barbarosa أن مباني كلوة جميلة، منازلها من الحجر الصقيل والمونة ونوافذها كثيرة تشبه ما كان يصنعه العرب من نوافذ، يشد بعضها على بعض شوارع مستقيمة(3).كما وصف مدينة منبسة بقوله، مدينة جميلة مبانيها من الحجارة وشوارعها منظمة(4)،

(1) الماحي، عبد الرحمن عمر، مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الأفريقي، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية علي جانبي الصحراء، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1988، ص 76.

(2) السيد، حمدي، الصومال، (القاهرة، د.ت)، 1950، ص 355.

(3) السيد، حمدي، المرجع السابق، ص 355.

(4)المرجع نفسه، ص 356.

وقد أدخل نظام البناء بالحجارة بالإضافة إلى استعمال الرمل والخشب، وقد ظهر الصناع الماهرون في فن النقش والزخرفة وهندسة المباني، أما في مدينة زنجبار فنجد المباني الجميلة المبنية والمشيدة على الطراز العربي والهندي، وقد أبدع الفنانون في تجميلها وزخرفتها وزينوا المساجد والقصور والتحف الجميلة، كما زينوا الأبواب والشبابيك بالرسومات الجميلة أيضاً(1). وفي كلوة تم تشييد القصور الفخمة والمنازل الحديثة.

المساجد :

أدخل العرب مظاهر حضارتهم إلى شرقي أفريقيا لا سيما فنون النقش والحفر والنحت، كما أدخلوا الأصول الرئيسية لفن البناء العالي والفسيفساء الممتزجة مع الرخام الملون والرسوم الجميلة وقد ظهر ذلك جلياً في المساجد(2)، وبرز أقصى درجات هذا التطور والازدهار في مدينتي زنجبار ومقديشو، كما ظهر الفن الفارسي في تجميل المساجد بالنقوش والزخرفة والكتابة العربية والنحت، كما تميزت عمارة المساجد بالطراز الإسلامي الذي ينسب لأكثر من عقد(3)،

(1) محمود، حسن: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، 1963، ص 34.
(2) السيد، حمدي: الصومال، القاهرة، د.ت، 1950، ص 358.
(3) الغيث، حمامة خلفان: المرجع السابق، ص 119.

بالإضافة إلى وجود االقباب المزخرفة في المساجد(1)، وتميز فن عمارة المساجد بهندسة المباني وبفن النقش والزخرفة ونظام البناء الذي يعتمد على الحجارة والرمل والخشب وكذلك وجدت في المساجد الأبواب والشبابيك التي تتسم بالطراز الإسلامي وبالرسومات الجميلة المزينة بالنقوش والآيات القرآنية الكريمة والأدعية الدينية(2).

المساكن:

حدث تطور كبير في الفن المعماري في مدن ساحل شرقي أفريقيا، فقد تأثر الذوق الوطني الأفريقي بفن العمارة العربية الإسلامية الوافدة من الجزيرة العربية والذي امتزج به طابع فارسي وهندي مما أعطى بناء المساكن في دول ساحل شرق أفريقيا طابعاً خاصاً مميزاً(3)، ففي مجال العمارة نجد أن العرب قد نقلوا بعض مظاهر فنون العمارة العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا وأخضعوها لتناسب البيئة والمناخ الأفريقي الذي يختلف كثيراً عن الطابع الصحراوي لطبيعة الجزيرة العربية(4)،

(1) المرجع نفسه، ص 63.
(2) شعبان، سعاد علي،الثقافة الأفريقية، المسكن، دراسة انثروبولوجية، القاهرة، كلية الآداب،جامعة المنيا،1988،ص 5
(3) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 271.
(4) المالكي، سليمان عبد الغني، بحث عن دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، العرب في أفريقيا، الجذور التاريخية والواقع المعاصر، سمنار التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1987، ص 132.

فنجدهم قد أدخلوا مواد جديدة في البناء مثل استعمال الحجارة وحفر الخشب، واستخدموا أنواعاً جديدة من لوازم البناء لم تكن معروفة مثل مواسير المياه وغيرها من الأشياء التي جاءت أساساً من آسيا(1)، فضلاً عن الأبواب المخروطة والأعمدة ذات الرؤوس والزخارف العربية التي زينوا بها سقوف مبانيهم، وكان استخدام المعادن والنقوش على النوافذ والأبواب يعكس التمازج المعماري العربي الأفريقي الذي أدى إلى انتشار نوع من الطراز السواحيلي في بناء المنازل(2)، لكن نطاقه انحصر في المدن ولم يمتد الى الريف، ففي الريف كانت المساكن على شكل أكواخ يأخذ سقفها شكل المنحدر وذلك لتفادي دخول الأمطار إليها(3).

أما في المدن فإن المساكن ذات نمط آخر، فقد تميزت بالنوافذ وهي عبارة عن ألواح من الخشب مغطاة بقطع حديدية طويلة من الخارج، ويوجد في معظم مساكن الساحل الشرقي لأفريقيا وكان يسمى مصلاني Masalani

وهو عبارة عن غرفة صغيرة مقسمة إلي قسمين يستعمل الأول للوضوء والاستحمام والثاني عبارة عن مصطبة مفروشة بالحصير ويخصص للصلاة، كما يوجد في المسكن مكان مخصص لجلوس الرجال عليها بعد صلاة العصر

(1) ترمنجهام، سبنسر، المصدر السابق، ص 271.
(2) المصدر نفسه، ص 271.
(3) شعبان، سعاد علي، المرجع السابق، ص 5.

وفي صلاة المغرب، حيث يتحاورون في مسائل الدين والحياة ويمضون وقتاً للتسلية والحوار(1).

وتوجد في بعض المساكن غرفة تسمى البنجلة وتستخدم في فصل الصيف، وتكون عادة مرتفعة عن المنزل ومفتوحة من جميع الجهات. ومن الأدوات التي بقيت حتى الآن من التأثيرات العربية (مكيبي) وهي عبارة عن غطاء مصنوع من سعف نخيل جوز الهند علي شكل مثلث مخروطي يستعمل لتغطية الطعام، وإضافة إلى ذلك فهناك أداة تستعمل كمروحة في فصل الصيف وهي عبارة عن عصا في أحد أطرافها جدائل مصنوعة من سعف نخيل جوز الهند. وهناك أيضاً الزير وهو إناء كبير مصنوع من الفخار ويستخدم لتبريد مياه الشرب. وتستخدم بعض الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والأدوات الشخصية، وتصنع هذه الصناديق من خشب التيك مزخرفة بنقوش جميلة فضية أو نحاسية وربما ترجع إلى أصول هندية، وانتشرت صناعتها في عمان وزنجبار(2).

(1) الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 119.
(2) المرجع السابق، ص 120، محمد، سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 141.

الحصون والأسوار:

لاحظ عالم الآثار (جيرفيس) بعض الحقائق المعمارية في كلوة، وذكر أنَّ عمارتها ترتبط بنسب إلى أكثر من بلدة في العصر الإسلامي(1)، كما ذكر أحد الباحثين أن أسوار وحصون شرق أفريقيا تشبه كثيراً تلك الأسوار التي أقيمت في المباني التي شيدت في البلدان العربية(2)، وأن أحواض السباحة الموجودة في حصون كلوة تشبه من الناحية التخطيطية ذلك الحوض الموجود في حصن جامع حران الكبير وكذلك الممشى أو الإضافة حول الحوض المذكور يمكن مقابلتها بالممشى الموجود في مئذنة سامراء (ملوية سامراء) والتي يرجع تاريخها إلي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، كما أن أحد القباب الموجودة في حصون كلوة تشبه قبة جامع القيروان الكبير(3).

هذا وقد تطورت الهندسة المعمارية في مباني مدن كلوة ومقديشو وبراوة وباتا وزنجبار ومنبسة ومافيا، حيث الأبنية الحجرية وزخارف الأبواب والشبابيك التي صممت على الطراز العربي الإسلامي، كما ظهر الفن الفارسي في النقوش والزخرفة لكثير من المباني، وتميزت العمارة بروعة الفن العربي الإسلامي من زخرفة البناء والنقوش والكتابة العربية والنحت ما بين غائر وبارز.

(1) الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 61.
(2) المرجع نفسه، ص 62.
(3)الغيث، حمامة خلفان، المرجع السابق، ص 63.

الخاتمة

تبين المعطيات الواردة في ثنايا الكتاب أن قنوات الاتصال الحضاري بين العرب وسكان شرقي أفريقيا تعود إلى حقب تاريخية سبقت ظهور الإسلام، لكن الأواصر والمؤثرات الحضارية تعمقت وتجذّرت بعد انطلاقة الدعوة الإسلامية. وبحكم مركز الثقل الحضاري الإسلامي فمن البديهي أن يكون سكان ساحل أفريقيا الشرقي أكثر انجذاباً له، لا سيما أن العلاقات التجارية أضافت بعداً آخر لذلك.

إن المؤثرات الحضارية العربية الإسلامية لم ينحصر نطاقها في الإطار العقائدي، بل اتسع مجالها ليشمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما تفاعلت العادات والقيم الأفريقية مع الأعراف والمفاهيم الإسلامية القادمة إلى المنطقة التي انصهرت في بوتقة جديدة كانت السمة الإسلامية هي الغالبة عليها، وتمخض عن ذلك ولادة جيل أفريقي جديد أطلق عليه اسم "السواحيلي".

إن البناء السياسي في شرقي أفريقيا في المرحلة التي تناولتها الدراسة تعكس بجلاء المؤثرات العربية الإسلامية في الساحل الأفريقي المطل على المحيط الهندي، كما أن القيم والأعراف الاجتماعية، وبحكم العقيدة الإسلامية، تغلّب فيها الطابع العربي الإسلامي بحكم التفوق الحضاري، وهذه مسألة بديهية.

كما اكتسبت المنطقة ثوباً عمرانياً عربياً إسلامياً فرضته حركة القبائل التي انطلقت من اليمن وعمان وغيرها من أرجاء الجزيرة العربية والبلاد الإسلامية واستقرت على امتداد الساحل الأفريقي من بدايته حتى موزمبيق.

ورفدت الحضارة العربية الإسلامية منطقة شرقي أفريقيا بمقومات ثقافية مشبعة بروح الإسلام وقيمه التي ترسخت جذورها في المنطقة.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:-

ابن الأثير، أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ، ط1(بيروت، دار صادر)، 1982.

ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق كرم البستاني، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر) 1960.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق أحمد نجاتي،ج1، (القاهرة)، 1956.

ابن الجوزى: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق محمد بركات، (الخرطوم، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر)،1993.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، ط1، (بيروت، منشورات دار الحياة)، 1979.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد: الطبقات الكبرى، ط1، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر)، 1960.

ابن سعيد المغربي، علي بن موسي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، (بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) 1970.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني: مختصر كتاب البلدان، (ليدن، مطبعة أبريل)، 1302 هـ.

ابن ماجد، احمد: ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكي، ترجمة وتعليق محمد منير مرسي،(القاهرة، عالم الكتب) 1969.

ابن المجاور، يعقوب بن محمّد: تاريخ المستبصر، تصحيح وضبط أوسكار لوفغرين، (ليدن، مطبعة بريل)، 1951.

ابن منظور: لسان العرب، ج6، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر)، د.ت.

ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر: فريدة العجائب وفريدة الغرائب، (القاهرة، د.ن)، ب.ت.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل الأيوبي: كتاب تقويم البلدان، (بغداد مكتبة المثنى) 1850.

الادريسي، محمد بن عبد الله بن ادريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية)، 1994.

بولم، دنيز : الحضارات الأفريقية، ترجمة نسيم نصر، ط2 (بيروت، دار منشورات عويدات)، 1978.

التمبكتي، أحمد بابا أبو العباس: نيل الابتهاج بتطوير الديباج، (القاهرة، د.ن) 1369هـ.

الجيراني، عرب فقيه شهاب الدين أحمد بن عبد القادر: فتوح الحبشة، تحقيق رينيه باسيه، (باريس، د.ن)، 1885.

الحموي، ياقوت: معجم البلدان، مج3،ج5، (بيروت، دار صادر) 1955.

الحميدي، محمد عبد المنعم: كتاب الروضي المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس،ط2، (بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة) ، 1980.

الحميمي، الحسن بن أحمد: سيرة الحبشة - صديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر، تحقيق مراد كامل، (القاهرة، د.ن)، 1958.

الدمشقي، شمس الدين ابن عبد الله: تحفة الدهر في عجائب البر والبحر، (العراق، مكتبة المثنى)، ب.ت.

السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1(القاهرة،د.ن) 1353هـ.

العمري، ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، (ألمانيا الاتحادية، معهد العلوم العربية والإسلامية)، 1988.

الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، 1995.

القزويني، زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، ط1، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر)، 1960.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 5-8، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)، 1963.

المسعودى، أبو الحسن بن الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط4، ج1(بيروت، دار الأندلس)، ب.ت.

المقريزي، أحمد بن علي: الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الإسلام، ط2، (القاهرة، مطبعة دار التأليف للترجمة والنشر)،1985.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن عبد الله النجدي، (القاهرة، مطبعة السعادة)، 1953.

الوزان، الحسن: وصف أفريقيا، ط2، تحقيق محمود محمد الخمي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي) 1983.

اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ج1، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 1999.

ثانياً: المراجـــع:

الأحمد، أمحمد مصباح: تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، ط1، (بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر)،2001.

أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ج3، (القاهرة، دار المعارف)، 1962.

أمين، محمد محمد: الصومال في العصور الإسلامية، المسح الشامل لجمهورية الصومال، (بغداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية)، 1982.

بشير إبراهيم بشير: ابن المجاور، دراسة تقويمية لكتاب (تاريخ المستبصر) ودراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، (السعودية، جامعة الرياض)، ب.ت.

ترمنجهام، سبنسر: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي، مراجعة فؤاد محمد شبل، ط1، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية)، 1973.

توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، (القاهرة مكتبة النهضة المصرية)، 1970.

الجمل، شوقي عطا الله: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)، 1960.

جودة، حسنين جودة: جغرافية أفريقيا الإقليمية، ط4، (الإسكندرية، منشأة المعارف)، 1985.

جوليان، شارل: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق أفريقيا، ملخصات الأمير سيف كمال، (القاهرة، د.ن)، 1927.

الحرير،عبد المولى: الإسلام و أثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء.

حسن، أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية)، 1958.

حسن، حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية،ط2، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية)،1964.

حسن، حسن إبراهيم: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى غربي القارة الأفريقية وشرقها،ط2، (القاهرة، معهد الدراسات العربية)، 1957.

الحويري، محمود محمد: ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، (القاهرة، دار المعارف) 1960.

الخشاب، إبراهيم المشهداني: أفريقيا جنوب الصحراء، (بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي)، 1978.

خصباك، شاكر: في الجغرافية العربية، دراسة في التراث الجغرافي العربي، (بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع)، 1988.

خلف الله، عبد الغني عبد الله: مستقبل أفريقيا السياسي، تاريخ شعوب القارة الحديثة وأوجه التطور المحتملة فيه، ط2، (القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة)، 1961.

دافدسن، بازال: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد احمد،ط1، (بيروت، مكتبة الحياة)، 1965.

دونالد، وايديز: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب)، 1971.

ديفدسون، باسيل: لمحات من تاريخ أفريقيا، ط2(ليبيا، مركز البحوث والدراسات الأفريقية) د.ت.

زاهر رياض: الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى، (القاهرة، دار المعرفة)، د.ت.

الزاوي، الطاهر: ترتيب القاموس المحيط، ط2، ج1، (بيروت، مطبعة عيسى البابي)، 1971.

زكى، عبد الرحمن : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ط1 (القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية)،1965.

زيربو، جوزيف-كى: تاريخ أفريقيا السمراء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، ط1، (ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان).

سالم، حمدي السيد: الصومال قديماً وحديثاً، (مقديشو، وزارة الاستعلامات)، 1965 .

سبي، عثمان صالح: تاريخ إريتريا، (بيروت، شركة النهار للخدمات الصحفية) 1974 .

سرهنك، إسماعيل: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، (القاهرة، المطبعة الميرية)، 1314هـ.

سعودي، محمد عبد الغني: أفريقيا دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، ط1،(القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية|)، 1983.

سعودي، محمد عبد الغني: الوطن العربي دراسة الملامح الجغرافية، ط1، (بيروت، دار النهضة العربية)، 1967.

سعيد، إبراهيم أحمد: أفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، ط1،(ليبيا، منشورات جامعة السابع من أبريل)، 1993.

سلطان، سالمة بنت سعيد: مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد الفنش، ط5(عمان، وزارة التراث القومي والثقافة) 1983.

شلبي، أحمد : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط1، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)، 1980.

شلش، علي: الأدب الأفريقي، (الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، 1993.

الشيباني، عمر التومي:اللغة العربية واللغات الأفريقية، ط2(ليبيا، الدار العربية للكتاب)1980.

الصوفي، خالد: محاضرات في تاريخ العرب الحديث، (ليبيا، منشورات جامعة قار يونس بنغازى)، 1986.

الصومالي، جامع عمر عيسي: تاريخ مقديشو في العصور الوسطي والحديثة، (مقديشو)، 1965.

الطيبي، أمين توفيق: الحبشة عربية الأصول والثقافة، ط1، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية)، 1993.

عبد الجليل، الشاطر بصيلي : تاريخ حضارات السودان الشرقي الأوسط، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1972.

عبد العليم، رجب محمد: العلاقات السياسية بين مسلمي زيلع ونصارى الحبشة في العصور الإسلامية، ط2،(القاهرة، دار النهضة العربية)،1985.

عبد اللطيف، علي محمد: أفريقيا العربية، ط1، (ليبيا، مكتب الأعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية)، 1998.

عبد الله، عبد القادر شيخ: تاريخ التعليم في الصومال، (مقديشو)، 1978.

عبد المجيد، عابدين: بين الحبشة والعرب، (القاهرة، دار المعارف)، د.ت.

علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

غيث، فتحي: الإسلام والحبشة عبر التاريخ،(القاهرة، دار المعارف)، ب.ت.

الفيتوري، عطية مخزوم : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)، ط1، (ليبيا، منشورات جامعة قار يونس ببنغازى)، 1998.

قاسم، جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ط1، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، 1975.

قاسم، جمال زكريا: الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية - العلاقات العربية الأفريقية، (القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، 1977.

قاسم، جمال زكريا: المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا، (القاهرة، مجلة الجمعية التاريخية المصرية)، 1986.

كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ج13، (دمشق، مطبعة الترقي)،1960.

كراتشوفسكي، أغناطوس: تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، ترجمة صلاح الدين هاشم،ط1،(القاهرة، جامعة الدول العربية)، 1963.

محمد، سميحة إبراهيم: دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان، ط1(ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية) 2000.

محمد، محمد عوض: السودان الشمالي،ط1،(القاهرة، مطبعة النهضة المصرية)، 1963.

محمود، حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ج1(القاهرة، دار النهضة العربية)، 1963.

محمود، حسن أحمد: الثقافة العربية في أفريقيا، ط3، (القاهرة، دار الفكر العربي)، 1964.

المشري، محمد عمر: بلاد القرن الأفريقي، نصوص ووثائق من المصادر العربية، (طرابلس، وحدة الكتاب للنشر)، 1428.

المعمري، أحمد محمود: عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله، (عمان، وزارة التراث القومي والثقافة) 1980.

المغيري، سعيد بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي،ط2، (الأردن، مطبعة دار الكتب)، 1986.

نادو، محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الأفريقي، ب.ت.

النقيرة، محمد عبد الله: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ط2، (الرياض، دار المريخ للنشر) 1982.

هولينجز ودرت ل.د.: زنجبار (1890-1913)، ترجمة وتعليق حسن حبشي(القاهرة، دار المعارف) 1968.

وثائق تاريخ باتا المحلي، وفقد معظمها في أثناء تخريبها عام 1308هـ.

يونس، محمد المبروك: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية بأفريقيا،ط2، (ليبيا، مطبعة الزاوية)، 1991.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

جوليد، مرسي أحمد: مقديشو عبر التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الخرطوم، كلية الآداب) 1981.

السراج، زين العابدين عبد الحميد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الساحل الصومالي فيما بين القرنين 6-8هـ / 12-14م، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة القاهرة، كلية الآداب)، 1986.

شويفة، فاروق عبد الجواد: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، رسالة دبلوم(القاهرة، كلية الآداب، معهد الدراسات الأفريقية) 1960.

شيخ، محمد حاج عمر: الحضارة الإسلامية في شرق أفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة(جامعة الخرطوم، كلية الآداب) 1981.

عفت، راجية محمد: الثقافة العربية في شرق أفريقيا، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية)،1980.

الغيث، حمامة خلقان: التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير غير منشورة في الدراسات الأفريقية، (القاهرة، كلية الآداب، معهد الدراسات الأفريقية)، 1988.

رابعاً: الدوريات والبحوث:

التميمي، عبد الجليل: العلاقات العلمية العربية الأفريقية، حصيلة الأبحاث الجامعية حول أفريقيا بكل من مصر وتونس في الثقافة العربية الإسلامية بأفريقيا جنوب الصحراء، غرب أفريقيا نموذجاً، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، اغسطس 1997.

حسن، يوسف فضل: البحر الأحمر في التاريخ، محاضرات الموسم الثقافي الأول، إعداد محمد عبد السلام الجفائري، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين)، 1989.

حسن، يوسف فضل: جذور العلاقات بين الثقافة الأفريقية والثقافة العربية، بحث منشور، مجلة تاريخ العرب والعلوم، عدد 89، 90، دار النشر العربية.

حسين، أحمد إلياس: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، محاضرات الموسم الثقافي الأول، 1979-1980، (طرابلس، مركز جهاد الليبيين)، 1989.

الخليل، النحوي: اللغة العربية في أفريقيا، مجلة اللسان، دراسات وبحوث أفريقية.

سالم، علي سعيد: دخول الإسلام في شرق وجنوب أفريقيا، بحث منشور (جامعة القاهرة، دار العلوم) 1997.

سليمان، عبد الغني المالكي: بحث عن دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، العرب في أفريقيا، الجذور التاريخية والواقع المعاصر، بحث منشور، (جامعة القاهرة، كلية الآداب) 1987.

الشامي، أحمد: نظرات في هجرة المسلمين إلى الحبشة، المؤرخ العربي، العدد 6، بغداد، 1981.

شعبان، سعاد علي: الثقافة الأفريقية، المسكن، دراسة انثروبولوجية، (القاهرة، كلية الآداب، جامعة المنيا)، 1988.

الضاوي، أحمد السيد: محددات التعريب في أفريقيا، بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية (ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية)، 1989.

طرقان، إبراهيم علي: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة، المجلد الثامن، (القاهرة، المجلة التاريخية المصرية)، 1959.

عثمان، عبد الرازق علي: القرن الأفريقي، التاريخ والجيوبولوتيكا، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد الرابع، 1922.

العراقي، سيد أحمد: معالم الحضارة في ساحل شرق أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، 1986.

الفران، محمد: تأثير اللغة العربية في بعض اللغات الأفريقية، مجلة أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية علي جانبي الصحراء(ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية)، 1988.

فليفل، السيد : الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصحراء الكبرى، بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية، (ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية)، 1998.

قاسم، جمال زكريا: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، بحث منشور في حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، العدد العاشر، 1966.

قاسم، جمال زكريا: الدولة العمانية في شرق أفريقيا، ندوة الدراسات العمانية (عمان، وزارة التراث القومي والثقافة) 1980.

كافي، أحمد محمد: العلاقات العربية الأفريقية، بعض المفاهيم والاعتبارات النظرية، مجلة الدراسات العربية، جامعة الخرطوم، 1991.

الماضي، عبد الرحمن عمر: مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الأفريقي، أعمال ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية علي جانبي الصحراء، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1982.

يوسف، حسن أحمد: التعريب في الأقطار العربية ذات الأوضاع الخاصة، مجلة المستقبل العربي، العدد 39، مايو 1982.

خامساً: دوائر المعارف:

دائرة المعارف الإسلامية الجديدة، المجلد الثالث عشر، (مادة حبشة).

سادساً: المصادر والمراجع الأجنبية:

Arthurstrong: History of Kilwa of report on Zangibar Dominions.
Budge, E.W.: History of Ethiopia, Volume 2, London, 1958.
Bulin, The Arab Role in Africa, Benguin S.E., 1962.
Cambridge History of Africa, vol 53, Cambridge M.P. 1977.
Capans S.L., Histoire de L' Afrique Boire, Dakar, 1982.
Coupland Reginald, East Africa and Its Invaders From the Earlist to the death of Sayyid Said in 1856, (Oxford), 1938.
Coupland Reginald, the Explotation of East Africa, the book of Durate Barbosa, vol.2, London, 1933.
David D. Latitin and Said Samater, Somalia, London, 1940.
Eliot, H. : The East Africa, London. 1905.
Ethel Younghusband: Glimpses of East Africa and Zanzibar, London, 1908.
Freeman-Grenville: Selected Comments on East Africa.
Hichend: Islam in East Africa..
Holt N. , Amodermof Somal.
Jaque, L.: Histoires des Pirates, Paris, 1917.

Kemith I.A., History of East Africa, London, 1964.
Kenith, I.A.: History of Eaast Africa, London, 1964, p 92.
Leuis, I.M, The Modern History of Somali Land, New York, 1965.
Lewis, Krayf: Travels, Research and Missionary, Eighteen Years Residence in Eastern Africa, London, Oxford, 1860.
Rymondes, Etudes Surl'Islam en Afrique, Paris, 1946.
Salim, A.I.: Swahili Speaking People of Kenya's (E.A. P.H.), 1973.
Samb Babacer: Reflexion Sur le Role De la Langue Arabe en Afrique, Soudano Sahelienne I, Act du Colloque af Lesh, UA Det I, Universited Ottawa, 1989.
Seoudy, M.A.: The Iampacts of Contacts between East Africa and Arabia, Institute of African Studies and Researches,Cairo, University of Cairo.
Sik Endre: Fekete Africa Torenetes, L. Kotet, Budapest, 1964.
Simmons L: History of Islam In East Africa, London, 1965.
Xavier de Planhol, Le Monde Islamique (Paris: press universitarie de France), 1957.

الفهرس

قائمة المحتويات

الفصل الرابع: الأحوال السياسية والإدارية في شرقي أفريقيا
* ظهور الممالك العربية الإسلامية
- الحبشة
- ممالك الساحل : ممالك الطراز
مملكة أوفات
مملكة دوارو – مملكة أرابيني
مملكة هدية - مملكة شرخا
مملكة بالي - مملكة دارة
- ممالك الداخل
مملكة شوا
* ظهور حكومات المدن في الساحل الشرقي لأفريقيا
- باتا
- مقديشو
- زنجبار
- سفالة
- كلوه
* النظم السياسية والإدارية العربية في شرقي أفريقيا

- التعليم: مراكزه وأساليبه
- ظهور الفقهاء والعلماء ونتاجاتهم الفكرية في شرقي أفريقيا
*** البناء والعمارة**
- المساجد
– المساكن
- الحصون والأسوار
الخاتمة
المصادر والمراجع